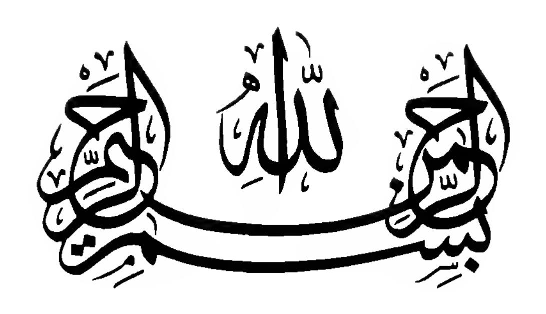
علم التجويد

دراسة صوتية ميسرة

الدكتور غانم قدوري الحمد

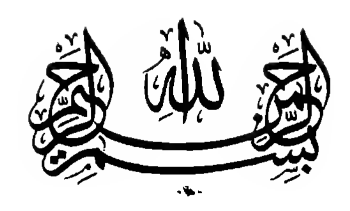


دار عمار


بسم الله الرحمن الرحيم

علم التجويد

دراسة صوتية ميسّرة



الطَّبعَة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر : ٢٠٠٥/٤/٩٣١ .



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمدُ للهِ، وسلامٌ على عبادِه الذين اصطفى، أما بعد:

فإنَّ دراسة أصوات العربية في كتب علماء القراءة والتجويد كانت تتوافق مع دراستها في كتب علماء العربية، لكن تقادم الزمان وتطور العلم وازدياد المعرفة أظهر تبايناً بين الدراستين، خاصة في الرسائل المؤلفة في علم التجويد في العصور المتأخرة وفي العصر الحديث.

وفكرة الكتاب الذي بين يديك تقوم على إعادة كتابة قواعد علم التجويد بالتوافق مع حقائق علم الأصوات اللغوية المعاصر، على نحو ما بيَّنتُ في مقدمة الطبعة الأولى للكتاب، وقد مضى على كتابته أكثر من خمسة عشر عاماً، مارستُ خلالها تدريس علم التجويد والبحث في مسائله، والتحقيق لنصوصه القديمة، وقد ازددت قناعة بصحة المنهج الذي اعتمدته في تأليف الكتاب، مع اعترافي بالتقصير في إيفاء كثير من المسائل حقها من البحث والتفصيل.

وقد أعدتُ قراءة الكتاب قراءة نقدية صحَّحت من خلالها بعض الأخطاء، ونقَّحتُ بعض الفقرات، كما أني أضفتُ عدداً من الإضافات، لكن ذلك كله لم يغيِّر من شكل الكتاب ولا من مضمونه.

وكان كثير من مصادر الكتاب في طبعته الأولى مخطوطاً، فراجعتُ النصوص على الطبعات المحققة التي صدرت لتلك المصادر في السنين الأخيرة، كما رجعتُ إلى عدد آخر من المصادر التي لم تكن متيسرة لديَّ عند كتابته في طبعته الأولى.

وإني حين أُقَدِّم هذا الكتاب للقارئ في طبعته الثانية أود أَنْ أَذْكُرَ له أنَّ رحلتي العلمية قد تجاوزت ربع قرن من الزمان، بَدَأْتُ بكتابة البحث الموسوم (علم التجويد: نشأته ومعالمه الأولى) الذي نُشِرَ سنة ١٩٨٠، وتَعَمَّقَتْ عند كتابة رسالتي للدكتوراة عن (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد)، التي طُبِعَتْ سنة ١٩٨٦، ثم كتبتُ الكتاب الذي بين يديك، ونُشِرَ سنة ١٩٨٨، وبين نَشْرِ بحثي الأول وكتابة هذه المقدمة حقَّقتُ عدداً من كتب علم التجويد، وكتبتُ عدَّة أبحاث نُشِرَتْ في كتاب بعنوان «أبحاث علم التجويد» سنة ٢٠٠٢، وختمت رحلتي مع هذا العلم في تأليف كتاب «المدخل إلى علم أصوات العربية» الذي نُشِرَ سنة ٢٠٠٢، والحمد لله رب العالمين.

وأسأل الله تعالى أن يتقبل مني ما كتبتُ، وأن يجعله صدقة جارية، يوم ينظر المرء ما قدَّمت يداه، ويوم يُسأل المرء عن علمه لِمَ تعلَّمهُ وماذا عمل فيه؟ اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يُسْمَعُ، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

تكريت

١٠-٧-٢٠٠٤

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ على سيدنا مُحَمَّدٍ رسولِ الله، وبعدُ:

فإن اللغة أصواتٌ منطوقة بنظام معين، وكل أمة تحرص على المحافظة على نطق أصوات لغتها لكي لا يصيبها التغير والانحراف بمرور السنين، وكانت اللغة العربية قد حَظِيَتْ بجهود وافرة في دراسة أصواتها وقواعدها، وكان بدء تلك الجهود مرتبطاً بنزول القرآن الكريم بها، فالقرآن كتاب العربية الأول الذي لم يَعرفِ التاريخ كتاباً للعرب قبله.

وقراءةُ القرآنِ سُنَّةٌ يأخذها الآخِرُ عن الأوَّلِ، ويتلقاها اللاحقُ عن السابقِ، فقد تَعَلَّمَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ قراءة القرآن منه، وأخذها التابعونَ عن الصحابة، وعَلَّمُوها مَنْ جاء بعدهم من المسلمين، وهكذا، ومنهجهم في ذلك قول رسول الله ﷺ: «اقرؤوا كما عُلِّمْتُمْ».

وكان أساس ذلك التعليم هو التلقي الشفهي للمتعلم من أستاذه، وسماع الأُستاذ نُطْقَ تلميذه، حتى يطمئن على صحة نطقه، ولم تكن المصاحف إلاَّ وسيلة تساعد على ضبط الحفظ وتيسير الدرس، وقد حَذَّرَ علماء القراءة من أخذ القرآن عن مُصْحَفِيٍّ، وهو الذي تعَلَّم قراءة القرآن من المصحف ولم يتعلمها من أفواه العلماء.

وكان يواكب ذلك الجهد الشفهيَّ في تلقي القرآن وتَعَلُّم قراءته درس نظري للنظام الصوتي للغة العربية، ومحاولة فهم طبيعة الصوت اللغوي وكيفية إنتاجه، قام به علماء العربية وعلماء القراءة، ودوَّنوا ملاحظاتهم في كتب النحو وكتب القراءة. وقد استقلت جهودهم تلك بكتب خاصة منذ القرن الرابع الهجري،

وصار يطلق عليها اسم (علم التجويد)، وظلت جهود علماء التجويد متصلة في الدرس والتأليف إلى الوقت الحاضر.

إن دراسة أصوات اللغة تقدمت كثيراً في عصرنا، وتنوعت مناهجها ووسائلها، واستفادت كثيراً من التقدم الصناعي والعلمي، وقد تُرْجِمَ شيءٌ من نتائج الدراسات الصوتية الحديثة إلى اللغة العربية، وصار في متناول يد الدارسين، وهي نتائج جاءت مؤكدة وموضحة لما عرفته العربية من جهود علمائها السابقين في هذا المضمار.

وبعد أنْ تحقق لي دراسة علم الأصوات النطقي الحديث في مصادره المكتوبة بالعربية، ودراسة كتب التجويد المفصلة القديمة، وجدت أن الفجوة بين العلمين ليست كبيرة، وأن جُلَّ ما تتميز به كتب علم الأصوات يتعلق بالتفصيلات الخاصة بتحليل الصوت الإنساني والتعمق في فهم حقائقه وكيفية إنتاجه، بينما تتميز كتب علم التجويد بتفصيلات كثيرة تخص الظواهر الصوتية الناشئة عن تركيب الأصوات في سلسلة كلامية متصلة.

إن إعادة كتابة علم التجويد بالاعتماد على مصادره القديمة الأولى وكتب علم الأصوات اللغوية الحديثة لن تُغَيِّرَ من حقيقته أو تُغَيِّرَ المتعارف عليه من قواعده، ولكنها سوف تكون مفيدة في زيادة معرفة الدارسين بطبيعة الصوت اللغوي وفي جعل قواعده أكثر وضوحاً وتعلمها أكثر يسراً، إن شاء الله تعالى.

وهذا الكتاب هو محاولة لكتابة علم التجويد في إطار هذه الخطة، من غير قصد إلى التطويل المُمِلّ أو الاختصار المخلّ، مع العناية بالجانب التطبيقي والإكثار من الأمثلة، لأن أساس هذا العلم فَهْمُ القواعد والقدرة على تطبيقها، وليس حفظها وتردادها. وقد ضممت إلى المباحث الصوتية لهذا العلم موضوعات ممهدة مثل الحديث عن فضل تلاوة القرآن وآدابها، وتاريخ التأليف في علم التجويد، والتعريف بعاصم وقراءته التي يقرأ معظم المسلمين القرآن بها

في زماننا.

إن علم التجويد، وهو يبحث في أصوات اللغة ويعتني بصور النطق، من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى فهم القواعد المدونة في الكتب والقدرة على تطبيقها في صورة النطق، والكتب وحدها لا تكفي في الوصول إلى المهارة في نطق اللغة العربية بشكلها الصحيح، فلا بد من التلقي من فم المعلم المتقن، ولا بد أيضاً من التكرار في تدريب اللسان على صورة النطق الصحيح، والإمعان في سماع تلاوة القرآن التي يتلوها مجيدو القراء.

وقد يظن بعض الناس أن معرفة قواعد علم التجويد الدقيقة لا يحتاج إليها إلا مَنْ وهبهم الله تعالى أصواتاً حسنة، وهذا ظنٌّ غير صحيح، فإن كل قارئٍ للقرآن بحاجة إلى تطبيق قواعد علم التجويد، وقد قال ابن الجوزي (ت٨٣٣هـ) رحمه الله تعالى:

وَالأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لازِمُ مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ القُرآنَ آثِمُ

ومعرفة قواعد علم التجويد والقدرة على تطبيقها في النطق تفيد أيضاً في ضبط النطق بالعربية الفصحى، فإن كثيراً من تلك القواعد تُرَاعى في الكلام مثلما تُلْتَزَمُ في تلاوة القرآن، فالخطباء والمتحدِّثون والمدرسون ومَنْ شاكلهم ينتفعون من معرفتهم قواعد التجويد التي تعطي الكلام المظهرَ العربيَّ الأصيلَ المؤثِّرَ الجميلَ.

وكان علماء قراءة القرآن قد اتفقوا على قواعد التجويد في معظمها، ولم يُرْوَ عنهم الاختلاف إلاَّ في أمور قليلة، وسوف أحرص في هذا الكتاب على ذكر ما اتفقوا عليه من غير الخوض فيما انفرد به بعض القراء، مراعياً في ذلك دائماً ما يتوافق مع قراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت١٢٨هـ) الذي نقرأ اليوم بقراءته مما رواه عنه تلميذه حفص بن سليمان (ت١٨٠هـ).

وقد حرصت في هذا الكتاب على المحافظة على المصطلحات الصوتية

الموروثة عن علماء التجويد، فقد أكَّدت الدراسات الحديثة دقتها وتعبيرها عن الحقائق الصوتية بشكل واضح، وربما غيَّرت تعريف بعض المصطلحات، فقد أوردت تعريف علماء الأصوات المحدثين للصوت المجهور والصوت المهموس، وأعرضت عن تعريف سيبويه الذي نقلته معظم المصادر القديمة، وذلك لسهولة فهم التعريف الحديث قياساً بتعريف سيبويه.

إن الهدف الذي يسعى إليه هذا الكتاب هو جعل قواعد علم التجويد أوضح لدى متعلِّميه بحيث يُمكِّنُهُمْ من الإحاطة بأسرار الصوت الإنساني التي تجعل الدارس يفقه الظواهر الصوتية التي تنشأ عن التركيب، لأن (العلمَ فطْنَةٌ ودرايةٌ آكدُ منه سماعاً وروايةً)[1]، فإن تحقق ذلك فبفضل الله تعالى، وإن قَصَّر الكتابُ عن بلوغ تلك الغاية فبتقصيري وعجزي، وحسبي أني أخلصتُ النية، إن شاء الله، وبذلت جهدي، والفضل بيد الله يؤتيه مَنْ يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وأرجو من قراء الكتاب ممن وهبهم الله تعالى العلمَ والمعرفة بموضوعه أن يتفضلوا عليَّ بالنصيحة وبيان ما قصَّرتْ عنه العبارة، أو لم أوفق في بيانه، أو جانبتُ فيه الصواب، حتى أستدرك ذلك عن قريب[2]، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ

---

(١) هذا القول للحافظ أبي عمرو الداني في مقدمة كتابه «التحديد في الإتقان والتجويد» ص٦٩.

(٢) أخص بالشكر الأستاذ الدكتور حسام سعيد محمود النعيمي، الذي تفضل بقراءة أصل الكتاب، وكذلك أشكر الأستاذ الشيخ يونس إبراهيم ذنون والأستاذ علي حامد الراوي؛ اللذين تفضلا بالقراءة في أصل الكتاب، وكتبا إليَّ بملاحظاتهما التي أفدت منها. وللأستاذين الفاضلين رأي في معالجة موضوع الضاد في الكتاب، بناه على ما جاء في الكتب القديمة من نصوص، وهي نصوص لم تغب عني، ولكنها لا تنطبق على نطق الضاد في زماننا، كما يرى كثير من دارسي الأصوات العربية المحدثين. وأسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا إلى الحق والصواب، وأن يحفظنا من التقصير في حق كتاب الله تعالى. وكذلك أشكر الأستاذين الفاضلين نظام الدين عبد الحميد، =

وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ [الأحزاب].

بغداد ٢٥-٤-١٩٨٧

= والدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري الخبيرين اللذين انتدبتهما جامعة بغداد لتقويم الكتاب، جزى الله تعالى الجميع خيراً.

الفصل الأول

تمهيد

المبحث الأول

فضل تلاوة القرآن وآدابها

أولاً: فضل تلاوة القرآن:

القرآن العظيم هو دستور الإسلام الخالد، أنزله الله تعالى لهداية البشرية إلى طريق الحق والخير والسعادة، فقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء].

وجعل الله سبحانه القرآن شفاء ودواءً لما تضطربُ به النفوس من الضلالة والجهل والقلق والشك والحيرة واليأس، وطريقاً إلى الهداية والرشاد، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس]، وقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء].

وقد أمر الله تعالى بتلاوة القرآن وامتدح الذين يتلونه، ووعدهم المغفرة والثواب الجزيل في آيات كثيرة، من ذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر].

وجاءت أحاديثُ نبويةٌ شريفةٌ كثيرة في بيان فضل القرآن وفضل تلاوته والحث عليها، نجتزئ منها ما يدل على عظمة القرآن وما يُرجى لقارئه

من الخير:

١- قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكم مَنْ تَعلَّمَ القرآن وعلَّمه»[١].

٢- وقال ﷺ: «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلونَ كتابَ اللهِ ويتدارسونه فيما بينهم إلاَّ نزلت عليهم السكينةُ وَغشِيَتْهُمُ الرحمةُ، وحَفَّتْ بهم الملائكة وذكرهم اللهُ فيمَنْ عندَه»[٢].

٣- وقال ﷺ: «مَثَلُ المؤمِنِ الذي يقرأُ القرآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّة رِيحُهَا طيِّبٌ وَطَعْمُهَا طيِّبٌ، وَمَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآن كمثلِ التمرة لا ريحَ لها وطَعْمُها حُلْوٌ، وَمَثَلُ المنافقِ الذي يقرأُ القرآنَ مَثَلُ الرَّيحانةِ رِيحها طيِّبٌ وطعمها مُرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثلِ الحنظلةِ ليس لها ريحٌ وطعمها مرٌّ»[٣].

٥- وقال ﷺ: «لا حسدَ إلا في اثنتين، رجلٌ علَّمه الله القرآنَ فهو يتلوه آناءَ الليلِ وآناءَ النهار، فسمعه جارٌ له، فقال: ليتني أُوتيت مثل ما أُوتي فلانٌ، فعملتُ مثلَ ما يعملُ، ورجلٌ آتاه اللهُ مالاً فهو يهلكه في الحقِّ، فقال رجلٌ: ليتني أُوتيت مثل ما أُوتي فلان فعملتُ مثلَ ما يعملُ»[٤].

٦- وقال ﷺ: «إنَّ الذي ليسَ في جَوْفِهِ شيءٌ من القرآنِ كالبيتِ الخَرِبِ»[٥].

٧- وقال ﷺ: «مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالها، لا أقول (ألم) حرفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ [ولامٌ حرفٌ] وميمٌ

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم، (انظر: المنذري، الترغيب ٣/ ١٦٣).

(٢) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما (انظر: المنذري: الترغيب ٣/ ١٦٣).

(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه (المصدر السابق ٣/ ١٦٥).

(٤) رواه البخاري، ومسلم بمعناه (المصدر السابق ٣/ ١٦٨).

(٥) رواه الترمذي والحاكم (المصدر السابق ٣/ ١٧٥).

حرفٌ»[1].

٨- وقال ﷺ: «اقرؤوا القرآنَ فإنه يأتي يومَ القيامة شفيعاً لأصحابه..»[2].

٩- وقال ﷺ: «يقولُ الربُّ تبارك وتعالى: مَنْ شغله القرآنُ عن ذكري ومسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أُعطي السائلين، وفضلُ كلامِ اللهِ على سائرِ الكلامِ كفضلِ اللهِ على خلقهِ»[3].

١٠- وقال الصحابي عقبة بن عامر - رضي الله عنه -: «خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ ونحن في الصُّفَّةِ، فقال: أيُّكم يُحِبُّ أن يَغْدُوَ إلى بُطحانَ أو العقيق فيأتيَ كلَّ يومٍ بناقتين، كَوْماوَيْنِ زهراوين، فيأخذهما في غيرِ إثم ولا قَطْعِ رَحِمٍ، قال: قلنا: كلُّنا يا رسولَ الله يحبُّ ذلك، قال فَلأَنْ يَغْدُوَ أحدُكم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتابِ الله تعالى خيرٌ له من ناقتينِ، وثلاثٌ خيرٌ من ثلاثٍ وأربعٌ خيرٌ له من أربعٍ، ومن أعدادهن من الإبل»[4].

وقد اعتنى العلماء بموضوع فضل القرآن وتلاوته، وجمعوا الأحاديث والآثار الواردة في ذلك، وجعلوها في كتب مستقلة تعرف بكتب «فضائل القرآن»، وهي كثيرة منها المطبوع ومنها المخطوط[5].

ثانياً: آداب تلاوة القرآن:

ينبغي أن يستشعر القارئ عظمة كتاب الله تعالى، فإذا أراد القراءة فعليه أن يلتزم بما ورد من الآداب والسنن التي تتعلق بنظافة البدن والمكان وبكيفية التلاوة، والتزام توقير القرآن واجتناب ما ينافي ذلك من مظاهر الغفلة وعدم

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٢٤٨)، وروي في بعض المصادر موقوفاً على الصحابي عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه (ينظر: عبد الرزاق: المصنف ٣/ ٣٧٥).

(٢) رواه مسلم (المنذري: ٣/ ١٨٥).

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٢٥٦).

(٤) رواه مسلم وأبو داود (المنذري: الترغيب ٣/ ١٦٤).

(٥) من أشهرها «فضائل القرآن» لأبي عبيد، وابن الضريس، والفريابي، وابن كثير.

التيقظ والخشوع.

١- نظافة البدن والمكان:

قال الإمام النووي: «ويستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف مختار. ولهذا استحب جماعة من العلماء القراءة في المسجد لكونه جامعاً للنظافة وشرف البقعة...». والأمر الجامع لذلك أنه لا يذكر الله إلا في مكان طيب[١].

وقال الآجريُّ: «وأُحبُّ لمن أراد قراءة القرآن في ليل أو نهار أن يتطهر وأن يستاك»[٢] وذلك لتعظيم القرآن، لأنه يتلو كلامَ الرب، عز وجل... وأحب أن يكثر القراءة في المصحف، لفضل من قرأ في المصحف، ولا ينبغي له أن يحمل المصحف إلا وهو طاهر، فإنْ أحب أن يقرأ في المصحف على غير طهارة فلا بأس به، ولكن لا يمسه، ولكنه يَصْفَحُ المصحفَ بشيءٍ، ولا يمسه إلا طاهراً. وينبغي للقارئ إذا كان يقرأ فخرجت منه ريح أمسك عن القراءة حتى ينقضي الريح، ثم إن أحب أن يتوضأ ثم يقرأ طاهراً فهو أفضل، وإن قرأ غير طاهر فلا بأس به، وإذا تثاءب وهو يقرأ أمسك عن القراءة حتى ينقضي عنه التثاؤب[٣].

ولا يقرأ الجنبُ ولا الحائضُ القرآنَ ولا آيةً ولا حرفاً واحداً[٤]، وإن سبَّحَ

---

(١) التبيان ص٣٥-٣٦.

(٢) قال النووي (التبيان ص٣٢ والأذكار ص٩٩): «وينبغي إذا أراد القراءة أن ينظف فاه بالسواك وغيره، والاختيار في السواك أن يكون بعود من أرَاكٍ، ويجوز سائر العيدان، وبكل ما ينظف كالخرقة الخشنة والأشنان وغير ذلك».

(٣) ونقل أبو عبيد في فضائل القرآن (١/٢٩٣) عن عكرمة قال: «إذا تثاءب أحدكم وهو يقرأ فليمسك ولا يقل: هَاهْ وهو يقرأ».

(٤) قال النووي (التبيان ص٣٣: «يستحب أن يقرأ وهو على طهارة، فإن قرأ محدثاً جاز بإجماع المسلمين، والأحاديث فيه كثيرة معروفة... وأما الجنب والحائض فإنه يحرم عليهما قراءة القرآن، سواء كان آية أو أقلّ منها، ويجوز لهما إجراء القرآن على قلبهما=

أو حَمِدَ أو كبَّر أو أذَّنَ فلا بأسَ بذلك»[1].

أما أوقات القراءة المختارة فقد قال الإمام النووي: «اعلم أنَّ أفضل القراءة ما كان في الصلاة... وأما القراءة في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير منه أفضل من الأول، والقراءةُ بين المغرب والعشاء محبوبةٌ، وأما قراءة النهار فأفضلها ما بعد صلاة الصبح، ولا كراهة في القراءة في وقت من الأوقات، ولا في أوقات النهي عن الصلاة»[2].

٢- التدبر والخشوع:

قراءة القرآن عبادة مقصودها الاتعاظ والائتمار والانزجار. وقد قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد]. والتَّدَبُّر معناه التفكر والنظر في عاقبة الشيء[3].

وحثَّ العلماء على التزام قارئ القرآن بتفهم ما يقرأ، قال الآجريُّ: «وأحب له أن يتفكر في قراءته، ويتدبَّر ما يتلوه، ويستعمل غَضَّ الطَّرْفِ عما يُلْهِي القلوب، وإن يتركْ كل شُغْلٍ حتى ينقضيَ درسُهُ كان أحبَّ إليَّ، لِيَحْضُرَ فَهْمُهُ ولا يشتغلَ بغير كلام مولاه»[4].

وقال النووي: «فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة، والدلائل عليه أكثر من أن تُحْصَرَ، وأشهر وأظهر من أن تُذْكَرَ، فهو

= من غير تلفظ به، ويجوز لهما النظر في المصحف وإمراره على القلب، وأجمع المسلمون على جواز التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على النبي ﷺ وغير ذلك من الأذكار للجنب والحائض».

(١) أخلاق حملة القرآن ص٩٥-٩٦.

(٢) الأذكار ص٩٦-٩٧.

(٣) ينظر: الزجاج: معاني القرآن وإعرابه ٢/٨٨، وابن منظور: لسان العرب ٥/٣٥٨ (دبر).

(٤) أخلاق حملة القرآن ص٩٧.

المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب»[1].

ومن لوازم التفكر أن القارئ إذا مَرَّ بآية رحمة سأل مولاه الكريم، وإذا مرت به آية عذاب استعاذ بالله عز وجل من النار، وإذا مرَّ بآية تنزيه لله تعالى عما قاله أهلُ الكفر سَبَّح الله تعالى وعَظَّمه، وإذا مرّ بآية فيها أمرٌ بالسجود سجد[2].

ويلزم احترام القرآن والابتعاد في أثناء القراءة عن الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة إلا كلاماً يضطر القارئ إليه، وينبغي أن يتمثل قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ [الأعراف][3].

ومن السُّنة افتتاح القراءة بالاستعاذة، وقد أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بذلك بقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾ [النحل].

والصيغة المشهورة للاستعاذة هي: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، ومعنى أعوذ: أَلُوذُ وأَلْتَجِئ وأَعْتَصِمُ[4]. ثم ينطق بالبسملة وهي: بسم الله الرحمن الرحيم، إذا بدأ بأول السورة، فإن بدأ القارئ من وسط السورة أمكنه الاكتفاء بالاستعاذة، ويجوز له أن يأتي بالبسملة على سبيل التبرك.

واعتاد القراء في زماننا على ختم القراءة بعبارة (صدق الله العظيم)، وهي كلمة طيبة لكن علماء القراءة والتجويد لم يَنصُّوا عليها في كتبهم، بقدر ما اطلعتُ عليه، ولها أصل في القرآن في قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۝٩٥﴾ [آل عمران].

---

(١) التبيان ص٣٨.

(٢) ينظر: الآجري: أخلاق حملة القرآن ص٩٦-٩٧.

(٣) ينظر: النووي: التبيان ص٤٢.

(٤) ابن منظور: لسان العرب ٥/٣٣ (عوذ).

ومن لوازم التفكر ترك العجلة في القراءة، قال الآجري: «وينبغي لمن قرأ القرآن أن يُرَتِّلَ القرآنَ ترتيلاً، كما قال الله عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل]، قيل في التفسير: بيِّنه تَبْييناً[1]، واعلَم أنه إذا رتله وبَيَّنَهُ انتفع به مَن يسمعه منه، وانتفع هو بذلك، لأنه قرأه كما أُمِر. . . والقليل من الدرس للقرآن مع الفِكْرِ فيه وتَدَبُّرِهِ أحبُّ إليَّ من قراءة الكثير من القرآن بغير تَدَبُّرٍ ولا تَفَكُّرٍ فيه، وظاهرُ القرآنِ يدل على ذلك والسُّنة وقول أئمة من المسلمين»[2].

٣- مراتب القراءة:

إن الناطق لديه المقدرة على الإسراع بنطقه أو التأني فيه، وقراءة القرآن لا تلزم فيها طريقة واحدة من السرعة أو الأناة، قال ابن الجزري: إن القرآن «يُقْرَأُ بالتحقيق وبالحدر وبالتدوير، وهو التوسط بينهما»[3].

وقال الداني: «ينبغي لمن أخذ نفسه من القراء بالتحقيق أن لا يُفْرِطَ في ذلك، وأن يكون جميع ما يلفظ به من الممدودِ والْمُمَكَّنِ والْمُدْغَم وَالْمُظْهَرِ والمهموز والمشدَّدِ والمسَكَّنِ وإشباعِ الحركاتِ وغيرِ ذلك على وزنٍ ومقدار، ولا يجاوز به الحدُّ الذي عُلِمَ من مذاهب الأئمة، ولا يتعدى في ذلك المنهاج والطريق الذي عليه الأكابرُ من علماء هذه الصناعة، فإن استعمل خلاف ما ذكرناه وأفرط في جميع ذلك وتكلف الزيادة في التمطيط والتعسف في التفكيك فقد خرج بفعله ذلك عما عليه الجمهور من أئمة القراءة وعن السائر الموجود المتعارف عليه في لغة العرب»[4].

وبعض العلماء ذكر أن التحقيق مرادفٌ للترتيل الذي أمر اللهُ تعالى به في قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل]، وفَرَّقَ بعضهم بينهما بقوله: إن الترتيل

---

(١) انظر: الطبري: جامع البيان ٢٩/ ١٢٧.
(٢) أخلاق حملة القرآن ص١٠٨-١٠٩.
(٣) النشر ١/ ٢٠٥، وينظر محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص١٤.
(٤) شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٦و.

يكون للتدبُّرِ والتفكر والاستنباط، والتحقيق يكون لرياضةِ الألسن[1].

أما الحَدْرُ فهو «أن يقرأ القارئ، قراءة سهلة سريعة خفيفة. . . من غير أن يُخِلَّ بحرفٍ، بل يؤدي كل حرف حقه من السكون والحركة والمد والتشديد، وهو يمر في قراءته مع هذه الشرائط مراً سريعاً. . . وإنما يستعمل القارئ الحدر وسرعة القراءة مع تقويم الألفاظ لتكثر حسناته إذ كان له بكل حرف عشر حسنات»[2].

والقراء مجمعون على التزام التجويد في مراتب القراءة كلها[3]. وإنما تتفاوت درجات المدود والتأني في نطق غنة النون، والسرعة في نطق الأصوات، على نحو تفاوت ذلك في النطق السريع والمتأني في كلام الناس، من غير أن يؤدي ذلك إلى الإخلال بالقواعد الصوتية العامة التي استنبطها علماء التجويد من دراسة الصورة المأثورة للقراءة.

٤- تحسين الصوت:

قال الإمام النووي: «أجمع العلماء رضي الله عنهم، مِنَ السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم مِن علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن»[4].

وقال الآجري: «ينبغي لمن رزقه اللهُ حُسْنَ الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله عز وجل قد خَصَّهُ بخيرٍ عظيم، فليعرفْ قدرَ ماخصه الله به، وليقرأه لله لا للمخلوقين، وليحذر من الميل إلى أن يُسْتَمَعَ منه ليحظى به عند السامعين، رغبةً في الدنيا والميل إلى حسن الثناء والجاه عند أبناء الدنيا. . .

وأكره القراءةَ بالألحان والأصوات المعمولة المُطَرِّبَةِ، فإنها مكروهةٌ عند كثير

---

(١) انظر: كتابنا: الدراسات الصوتية ص٥٥٧-٥٥٨.

(٢) انظر: أحمد بن أبي عمر: الإيضاح ص٢٩٢.

(٣) انظر: ابن الباذش: الإقناع ١/٥٥٢.

(٤) التبيان ص٥١.

من العلماء مثل يزيد بن هارون، والأصمعي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وسفيان بن عيينة، وغير واحدٍ من العلماء يأمرون القارئ إذا قرأ أن يَتَحَزَّنَ ويتباكى ويخشع بقلبه»[١].

وقال أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار: «وتزيين القراءة هو إعطاء الحروف حقوقها على ما بينا قبلُ، لا ما أحدثه العُمْيُ المَقْبَرِيُّونَ، والغُتْرُ الأعْجَمِيُّونَ، لأن ذلك يُفضي إلى تغيير المقاصد والمعاني، ويُقرِّبُ قراءةَ الوحي المنزل من ألحان الأغاني»[٢].

وقد لَخَّصَ الإمام الغزالي شرائط القراءة المحمودة بقوله: «تلاوة القرآن حقَّ تلاوته هو أن يشترك فيه اللسانُ والعقل والقلب، فحظُّ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار، فاللسانُ يُرتِّلُ، والعقل يترجم، والقلب يَتَّعظ»[٣].

---

(١) أخلاق حملة القرآن ص١٠٤-١٠٥، وانظر أيضاً: شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٥و.

(٢) التمهيد ص٧١.

(٣) إحياء علوم الدين ١/ ٢٩٤، ونقله أبو شامة في المرشد الوجيز ص٢١١.

المبحث الثاني

علم التجويد وتاريخ التأليف فيه

علم التجويد هو العلم الذي يدرس مخارج الأصوات اللغوية وصفاتها وما يعرض لها في التركيب، والغرض من تلك الدراسة القدرة على النطق الصحيح بإعطاء كل صوتٍ حقَّهُ من مخرجه وصفته وما يعرض له في التركيب من ظواهر صوتية. ومن ثَمَّ قال المرادي: «إن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور:

أحدها: معرفة مخارج الحروف.

والثاني: معرفة صفاتها.

والثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام.

والرابع: رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار»[1].

وقد ظهر البحث في الأصوات العربية في الوقت الذي درس فيه العلماء قواعد اللغة العربية. ويتضمن كتاب سيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان ت١٨٠هـ) باباً كبيراً خصصه لدراسة الأصوات العربية سماه باب الإدغام. واقتفى مذهبَهُ كثيرٌ من علماء العربية، وقد جعل أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) مقدمة كتابه: «سر صناعة الإعراب» خاصة بدراسة الأصوات اللغوية.

واعتنى علماء قراءة القرآن أيضاً بدراسة أصوات اللغة العربية وبحثوا في ظواهر النطق، في الكتب التي ألَّفوها في وصف قراءات القراء المشهورين،

---

(١) المفيد ص٣٩، وشرح الواضحة (له) ص٢٩.

لكن ظهور التأليف في القراءات لا يمثل بدء التأليف في علم التجويد، فعلم القراءات وعلم التجويد ميدانهما واحد هو قراءة القرآن، إلا أن علم التجويد يعتني بدراسة حقائق الأصوات بينما يعتني علم القراءات بوجوه النطق المروية.

وقد تحدث العلماء قديماً عن العلاقة بين العلمين، فقال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) في كتابه «الرعاية لتجويد القراءة»: «وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب ما تدغم فيه الذال وغيرها من الحروف مما اختلف القراء فيه، فأغنى عن ذكر ذلك في هذا الكتاب، فتلك الكتبُ كتبٌ تُحْفَظُ منها الروايةُ المختلف فيها، وهذا الكتاب يُحْكَمُ فيه لفظُ التلاوة التي لا خلاف فيها، فتلك كتبُ روايةٍ، وهذا كتابُ دراية»[1].

ولخص محمد المرعشي (ت١١٥٠هـ) الفرق بين العلمين بقوله: «اعلم أن علم القراءة يخالف علم التجويد، لأن المقصود من الثاني معرفةُ حقائق صفات الحروف مع قطع النظر عن الخلاف فيها، مثلاً يُعْرَفُ في علم التجويد أن حقيقةَ التفخيم كذا وحقيقة الترقيق كذا، وفي علم القراءة يعرف فَخَّمَهَا فلانٌ ورَقَّقَهَا فلانٌ»[2].

وفي القرن الرابع الهجري حاول علماء قراءة القرآن استخلاصَ المباحث المتعلقة بأصوات العربية وظواهر النطق من كتب النحو وكتب القراءات وجمعوها في كتب خاصة مستقلة، وقد أُطلقَ على مباحث هذه الكتب مصطلح (علم التجويد)، وصارت تلك الكتب تعرف بكتب علم التجويد.

وقد قال ابن الجزري في كتابه «غاية النهاية في طبقات القراء» وهو يترجم لأبي مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني البغدادي المتوفى سنة ٣٢٥هـ: «هو أول مَنْ صَنَّفَ في التجويد فيما أعلم، وقصيدته الرائية

---

(١) الرعاية ص١٩٩.

(٢) ترتيب العلوم ص٦٤، وانظر أيضاً كتابه: جهد المقل ص١١٠.

مشهورة»[1].

وقصيدة أبي مزاحم التي ذكرها ابن الجزري هي القصيدة الرائية التي قالها في حُسْنِ أداء القرآن ومطلعها:

أَقُولُ مقالاً مُعْجِباً لأُولي الْحِجْرِ ولا فَخْرَ إنّ الفخرَ يدعو إلى الكِبْرِ

وهي تتألف من واحد وخمسين بيتاً، وتناول فيها قضايا تتعلق بقراءة القرآن وتجويدها، ولما كانت هذه القصيدة أول محاولة لتدوين موضوعات علم التجويد مستقلةً فهي لذلك لم تأت مُحكَمةَ المنهج ولا شاملةً لكلٍّ جزئيات الموضوع، وهي مع ذلك جاءت في قالب شعري لا يسمح بالمناقشة المفصلة التي تحتاج إلى عشرات الصفحات[2].

وعلى الرغم من أن أبا مزاحم لم يستخدم في قصيدته مصطلح (التجويد) فإن المصطلح كان معروفاً في زمانه كما يبدو، فقد رَوى أبو عمرو الداني أن أبا مجاهد (أبا بكر أحمد بن موسى بن العباس ت٣٢٤هـ) قال: «اللَّحْنُ في القرآن لحنانِ: جَلِيٌّ وخفيٌّ، فالجليُّ لَحْنُ الإعراب، والخفيُّ ترك إعطاءِ الحرفِ حَقَّهُ من تجويد لفظه»[3].

وأول كتاب معروف اليوم أُلِّف بعد قصيدة أبي مزاحم هو كتاب «التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي» لأبي الحسن علي بن جعفر الرازي السعيدي المتوفى في حدود سنة ٤١٠هـ. وهو كتاب صغير الحجم غزير المادة، تحدَّث في صفحاته الأولى عن تجويد ألفاظ سورة الفاتحة، ثم عقد أبواباً قصيرة عن نُطقِ الواو والياء في أحوالهما المتعددة، وأعقبها بالحديث عن صور نطقية شتى

---

(١) غاية النهاية ٢/ ٣٢١.

(٢) حَقَّقْتُ القصيدة ونشرتُها سنة ١٩٨٠ في بحث (علم التجويد نشأته ومعالمه الأولى) في مجلة كلية الشريعة، العدد السادس (ص٣٤٨-٣٥٣) وقام الدكتور علي حسين البواب بنشرها ثانية في مجلة المورد مج١٤ ع١، سنة ١٩٨٥ ص١١٥-١٢٧.

(٣) التحديد ص١١٨، طبع دار عمار، الأردن.

حَذَّرَ القارىء من الوقوع فيها[1].

وتَتَابَعَ التأليفُ في علم التجويدُ منذ مطلع القرن الخامس الهجري إلى عصرنا، فظهرت عشرات الكتب التي تنوعت مناهجها وأساليب تأليفها، لكن الملاحظ على تلك المؤلفات، لا سيما القديمة منها، أن الإهمال أصابها، فَفُقِدَ كثيرٌ منها، وقلَّت مخطوطات ما بقيَ منها، ولم يُطبعْ مما بقي إلا القليل، واستقصاء أسماء تلك الكتب يحتاج إلى صفحات كثيرة، ويكفيك هنا أن تعرف أشهر تلك الكتب وهي[2]:

١- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: لمكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ).

٢- التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ).

٣- الموضح في التجويد، لعبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت٤٦٢هـ).

٤- التجريد في علم التجويد، لأبي علي الحسن بن أحمد المعروف بابن البناء البغدادي (ت٤٧١هـ).

٥- نهاية الإتقان في تجويد القرآن، لشريح بن محمد الرعيني الإشبيلي (ت٥٣٩هـ).

٦- التجريد في علم التجويد، لأبي علي سهل بن محمد الحاجي (ت٥٤٣هـ).

٧- الإنباء في تجويد القرآن، لأبي الأصبغ عبد العزيز بن علي الأندلسي

---

(١) حققت الكتاب ونُشِرَ في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨٥م مج٣٦ ج٢ ص٢٤٠-٢٨٧، وأعادت دار عمار نشره ضمن (رسالتان في تجويد القرآن، للسعيدي) عمان ١٤٢١= ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: كتابي: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٥-٤٣.

المعروف بابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠هـ).

٨- التمهيد في معرفة التجويد، لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار (ت٥٦٩هـ).

٩- نبذة المريد في علم التجويد، لأبي المعالي محمد بن أبي الفرج فخر الدين الموصلي (ت٦٢١هـ).

١٠- الترشيد في علم التجويد، لأبي علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص الأندلسي المعروف بابن الناظر (ت٦٧٩هـ).

١١- التجريد في علم التجويد، لأبي الحسن علي بن يعقوب عماد الدين الموصلي المعروف بابن أبي زهران (ت٦٨٢هـ).

١٢- الدر النضيد في التجويد، لأبي العباس أحمد بن عبد الله الخابوري (ت٦٩٠هـ).

١٣- بغية المريد في معرفة التجويد، لأبي محمد عبد الكريم بن عبد الباري الصعيدي (من علماء القرن السابع الهجري).

١٤- الدر النضيد في معرفة التجويد، لمحمد بن قيصر الماريني (ت٧٢١هـ).

١٥- عقود الجمان في تجويد القرآن، لإبراهيم بن عمر الجعبري (ت٧٣٢هـ).

١٦- التسديد في علم التجويد، لأبي بكر عبد الله بن أيدغدي بن عبد الله الشهير بابن الجندي (ت٧٦٩هـ).

١٧- روح المريد في شرح العقد الفريد، لمحمد بن محمود السمرقندي (ت٧٨٠هـ).

١٨- التمهيد في علم التجويد، لأبي الخير محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ).

١٩- المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه، لابن الجزري مؤلف التمهيد، وهي المنظومة المشهورة بالمقدمة الجزرية، وقد شُرحت شروحاً كثيرة موجزة ومطولة.

٢٠- القول المفيد في أصول التجويد، لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ).

٢١- بغية المستفيد في علم التجويد، لمحمد بن بدر الدين الشهير بابن بلبان الحنبلي (ت١٠٨٣هـ).

٢٢- تحفة الطالبين في تجويد كتاب رب العالمين، لمنصور بن عيسى بن غازي السمنودي (من علماء القرن الحادي عشر الهجري).

٢٣- غنية الطالبين ومنية الراغبين، لمحمد بن القاسم البقري (ت١١١١هـ).

٢٤- كفاية المستفيد في علم التجويد، لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت١١٤٣هـ).

٢٥- جهد المقل، لمحمد بن أبي بكر المرعشي المعروف بساجقلي زاده (ت١١٥٠هـ).

وقد أُلِّفت في العصر الحديث رسائل كثيرة في علم التجويد في مختلف بلدان العالم الإسلامي، الغالب على كثير منها إيجاز العبارة واختصار الموضوعات، وهي مع ذلك قد خدمت قراء كتاب الله تعالى بتعليمهم قواعد التجويد وأصول التلاوة.

المبحث الثالث

تعريف برواية حفص عن عاصم

قراءة القرآن سُنَّةٌ متبعة، لا مجال للرأي فيها أو الاجتهاد، وما يقال اليوم من أننا نقرأ بقراءة عاصم من رواية حفص لا يعني أن عاصماً اخترع هذه القراءة باجتهاده ورأيه، فإنه قد أخذها من علماء القراءة من كبار التابعين الذين تعلموها من الصحابة، رضوان الله عليهم، وإنما نُسبت إليه لأنه أخذها عن شيوخه وضبطها وتصدَّرَ لتعليمها، ورواها عنه عدد كبير من القراء، كان أشهرهم تلميذه حفص بن سليمان، وهذا تعريف موجز بقراءة عاصم وأصولها وأشهر رواتها.

١- عاصم:

هو أبو بكر عاصم بن أبي النَّجُود، نشأ في الكوفة، وأخذ من شيوخ القراءة فيها، ومن أشهر شيوخه أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلمي الذي ظل يُعلِّم الناس قراءة القرآن في مسجد الكوفة الأعظم أربعين سنة، حتى وفاته سنة ٧٣هـ. وكان أبو عبد الرحمن السلمي قد أخذ القراءة عن عدد من كبار علماء الصحابة منهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وأُبَيُّ بن كعب - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - فلما مات أبو عبد الرحمن السلمي خَلَفَهُ في القراءة عاصم بن أبي النجود[١].

وكان عاصم ثقة في رواية الحديث، معدوداً في التابعين، وحديثه مُخَرَّجٌ في الكتب الستة[٢]. وكان مشهوراً بالفصاحة وحسن الصوت بالقراءة، وهو الذي

---

(١) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص٦٦-٦٩.

(٢) ينظر: ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ٢٧/ ١٢٤، والذهبي: معرفة القراء ١/ ٧٧، =

انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة، حتى وفاته سنة ١٢٧هـ، رحمه الله تعالى[١].

٢- حفص:

أخذ القراءة عن عاصم عدد من القراء، كان أشهرهم حفص بن سليمان بن المغيرة، أبو عمر الأسدي البزاز، كان ينزل مع عاصم في دار واحدة، لأنه ربيبه ابن زوجته، فقرأ عليه القرآن مراراً، حتى كان أضبط مَنْ روى القراءة عن عاصم[٢].

وكانت نشأة حفص في الكوفة، لكنه رحل منها إلى بغداد، وقصد مكة المكرمة وجاور بها، وذكر الخطيب البغدادي أن حفصاً كان قد نزل بغداد في الجانب الشرقي منها، بمحلة سمَّاها سويقة نصر، وأنه لو رأيته لَقَرَّتْ عينُكَ به علماً وفهماً[٣]. ولا نعلم مقدار مكثه في بغداد ولا مجاورته في مكة، ولكننا نعلم أنه أقرأ القرآن فيهما، وأنه توفي سنة ١٨٠هـ[٤]. رحمه الله تعالى.

٣- انتشار قراءة عاصم:

كان عاصم أحد القراء السبعة المشهورين الذين أجمعت الأمة الإسلامية على صحة قراءاتهم وتواترها، وقد ذاعت قراءته من رواية تلميذه حفص بن سليمان الذي أقرأ القرآن في الكوفة وبغداد ومكة، فكثر تلامذته الذين نقلوا عنه قراءة أستاذه عاصم، وحتى صارت اليوم أشهر قراءة للقرآن في العالم الإسلامي كله، عليها تُضبطُ المصاحف، وبها يُقرأ القرآن، إلا في بلاد المغرب وبعض جهات إفريقية، حيث تنتشر قراءة نافع من رواية تلميذه وَرْش.

وشهرة قراءة عاصم قديمة، فقد قال مكي بن أبي طالب عنه: «فقراءته

= وابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/٣٨-٣٩.

(١) ابن الجزري: غاية النهاية ١/٣٤٧-٣٤٨.

(٢) ابن الجزري: غاية النهاية ١/٢٥٤.

(٣) تاريخ بغداد ٨/١٨٦.

(٤) الذهبي: معرفة القراء ١/١١٦، وابن الجزري: غاية النهاية ١/٢٥٥.

مختارة عند مَنْ رأيت من الشيوخ، مقدَّمةٌ على غيرها، لفصاحة عاصم، ولصحة سندها، وثقة ناقلها»[١]. وذكر أبو حيان الأندلسي المتوفى في القاهرة سنة ٧٥٤هـ أن قراءة عاصم «هي القراءة التي ينشأ عليها أهلُ العراق»[٢].

---

(١) التبصرة ٢١٩.

(٢) البحر المحيط ١/١١.

الفصل الثاني

الصوت اللغوي وكيفية إنتاجه

المبحث الأول

أعضاء آلة النطق

يصدر الصوت اللغوي نتيجة لاندفاع الهواء من الرئتين وقيام أعضاء آلة النطق بتكييفه في صور متعددة تؤدي إلى تنوع الصوت الإنساني، قبل أن ينتقل عبر الهواء إلى أذن السامع، لكن عملية إنتاج الصوت اللغوي عملية متعددة الجوانب تبدأ في مركز الكلام في عقل الإنسان، الذي يوجه حركة أعضاء آلة االنطق، ثم ينتقل الصوت على شكل موجات في الهواء، فتستقبله أذن السامع، فيوحي عقله برد الفعل المناسب.

إن علم الأصوات يقوم بدراسة كل جوانب العملية النطقية: وانقسم لذلك على ثلاثة أقسام(١):

١- علم الأصوات النطقي، ويتناول عملية إنتاج الصوت.

٢- علم الأصوات الفيزياوي، ويتناول عملية انتقال الصوت اللغوي في الهواء.

٣- علم الأصوات السمعي، ويتناول ما يحدثه الصوت من أثر في أذن السامع.

إن علم الأصوات النطقي هو العلم الذي يحتاجه دارس اللغة أكثر من

---

(١) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص٣ و٢٧ و٧٧.

العلمين الآخرين اللذين لم تعرفهما دراسة الأصوات اللغوية إلا في وقت متأخر، مع ما يحتاجان إليه من معرفة علمية عميقة بعلوم الفيزياء والتشريح وعلم النفس، وهو ما لا يتيسر لكثير من دارسي اللغة.

إن أول ما يحتاج إلى معرفته دارس أصوات اللغة هو أعضاء آلة النطق لدى الإنسان، لكي يعرف كيفية تكوُّن الصوت وأسباب تنوعه. ولهذا نجد المؤلفين في علم الأصوات يُصَدِّرُونَ كتبهم بوصف تلك الأعضاء ويُبَيِّنُون دور كل عضو في إنتاج الأصوات.

إن أعضاء آلة النطق هي: الرئة، والقصبة الهوائية، والحنجرة، والفراغ الحلقي، والفم وما فيه من لسان وأسنان، والشفتان، والتجويف الأنفي. إن تسمية هذه المجموعة بأعضاء آلة النطق تسمية مجازية. لأن هذه الأعضاء لا تنحصر وظيفتها في إحداث الأصوات، بل إن لها وظائف أخرى بعضها أهم للإنسان من النطق، كالذوق للسان، وقضم الطعام وطحنه للأسنان، والشم للأنف، والتنفس له وللرئتين، وهكذا، فإصدارُ الأصوات اللغوية إذن ما هو إلا وظيفةٌ واحدة من الوظائف الكثيرة التي تقوم بها تلك الأعضاء، وتسميتها بأعضاء آلة النطق تسمية من وجهة نظر علم الأصوات اللغوية(١).

وإذا كان من واجب دارس الأصوات اللغوية معرفة أعضاء آلة النطق فإنه ليس بحاجة إلى الإلمام بكل التفصيلات التي يقدمها علم (وظائف الأعضاء) و(علم التشريح) عن تلك الأعضاء، لأن كثيراً من تلك التفصيلات لا يؤدي له نفعاً، وليس المقصود أن تكون هذه المعرفة نظرية تقتصر على حفظ أسماء أعضاء آلة النطق ووصف تكوينها ووظائفها، بل المقصود أن ينتقل دارس الأصوات من تلك المعرفة النظرية إلى القدرة على التطبيق والتحكم في تلك الأعضاء لإحداث أصوات أي لغة(٢).

---

(١) عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص٤٠، ومحمود السعران: علم اللغة ص١٤٠، وكمال محمد بشر: الأصوات ص٨٤.

(٢) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٤٠-١٤١.

وهذا وصف موجز لأعضاء آلة النطق، مع توضيح دور كل عضو في إنتاج الأصوات اللغوية[1].

١- الرئتان والقصبة الهوائية:

الرئتان هما مصدر الهواء الذي تنتج به الأصوات اللغوية، فبعد عملية الشهيق تمتلئ الرئتان بالهواء الذي يُطْرَدُ مع الزفير، فتقوم أعضاء آلة النطق بتكييفه لإنتاج الأصوات، وكلما نَفِد الهواء من الرئتين أعاد الإنسان ملأهما بعملية التنفس التي لا تنقطع ما دامت الحياة في جسم الإنسان، والرئتان لا تقومان بإنتاج أي صوت من الأصوات ولكنهما تعملان كمنفاخ يَمدُّ آلةَ النطق بالمادة التي تنتج الأصوات.

أما القصبة الهوائية فهي أنبوبة مكونة من غضاريف على شكل حلقات غير مكتملة الاستدارة من الخلف، يتصل بعضها ببعض بواسطة نسيج غشائي، وهي تنقسم من أسفلها إلى فرعين ينتهيان بالرئتين، ويجري فيها الهواء من الخارج إلى الرئتين عبر الأنف وأعضاء آلة النطق الأخرى، وبالعكس. وتقع في أعلاها الحنجرة.

٢- الحَنْجَرَةُ:

تُكَوِّنُ الحنجرة الجزء الأعلى من القصبة الهوائية، وهي تشبه صندوقاً غضروفياً أو حجرة صغيرة مكونة من عدد من الغضاريف، ويمتد في الحنجرة الوتران الصوتيان، وهما في الواقع ليسا وترين، إنما هما عبارة عن شفتين أو

---

(١) انظر في وصف أعضاء آلة النطق: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٦-١٩، ومحمود السعران: علم اللغة ص١٤٠-١٥٠، وعبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص٤٠-٩١، وكمال محمد بشر: الأصوات ص٨١-٩٠، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص٧٩-٨٩، وحسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص٢٩٥-٢٩٧، ورمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص٢٢-٢٧، وكتابنا: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٩٣-١١٠، والمدخل إلى علم أصوات العربية ص٤٢-٥٩.

غشاءين عضليين، يُكَوِّن كل واحد منهما نصف دائرة حين يمتد، وهما يقعان على قمة القصبة الهوائية، ويمتدان في الحنجرة أفقياً من الخلف إلى الأمام، حيث يلتقيان عند البروز الناتئ في منتصف الرقبة من أمام. ويسمى الفراغ الكائن بين الوترين بفتحة المزمار.

ويقع فوق الحنجرة غشاء يشبه اللسان، يسمَّى لسان المزمار، أو الغَلْصَمة، وظيفته حماية الحنجرة في أثناء عملية البلع من دخول الطعام إلى الرئتين.

ويُعَدُّ الوتران الصوتيان من أهم أعضاء آلة النطق، لأن الأوضاع التي يتخذانها تؤثر في تنوع الأصوات، فقد يتجافى أحدهما عن الآخر ويكونان في حالة استرخاء في حالة التنفس العادي. وقد يتضامُّ أحدهما نحو الآخر، ويعترضان طريق الهواء الذي يؤدي اندفاعه خلالهما إلى فتحهما وغلقهما بسرعة فائقة، فتحدثُ نتيجة ذلك نغمةٌ صوتية تسمى (الجهر). وقد ينطبق الوتران انطباقاً تاماً لحظة من الزمن، فينضغط الهواء خلفهما، ثم ينفرجان فجأة فيسمع عندئذ صوت يشبه الانفجار، هو ما نسميه في العربية بصوت الهمزة. وسوف يتضح لنا دور الوترين على نحو أوضح عند الكلام عن إنتاج الأصوات.

٣- الحلق:

وهو الجزء الذي بين الحنجرة والفم، وهو عبارة عن تجويف يقع بين أقصى اللسان والجدار الخلفي للحلق المستند إلى عظام العنق، وعبارة الحلق عند المتقدمين تشمل الحنجرة أيضاً، وهم يقسمونه على ثلاثة أقسام: أقصى الحلق (أي الحنجرة)، ووسطه، وأدناه[1]. وهناك عدد من أصوات العربية تخرج من هذه الأقسام.

٤- الفم:

ويشمل اللسان، والحنك الأعلى، والأسنان.

---

(١) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٣٣، والداني: التحديد ص١٠٤.

أما اللسان فهو من أهم أعضاء آلة النطق، لأن له القابلية على الحركة واتخاذ أوضاع متعددة تؤدي إلى إنتاج عدد كبير من الأصوات، ويقسم دارسو الأصوات اللسان إلى أقسام هي: أقصى اللسان، ووسطه، وطرفه، وحافتيه.

أما الحنك الأعلى فهو سقف الفم، ويقسم ثلاثة أقسام:

١- مقدم الحنك وهو محدَّب ومحزز، ويشمل اللثة وهي اللحم الذي فيه منبت الأسنان.

٢- وسط الحنك، أو الحنك الصلب، وهو الجزء المقعر، وقد يسمى بالغار.

٣- أقصى الحنك، أو الحنك اللين، وقد يسمى الطبق، ويشمل اللهاة، وله القابلية على الحركة، فإذا ارتفع إلى أقصى ما يمكن فإنه يمس الجدار الخلفي للتجويف الحلقي، فيمنع مرور الهواء الخارج من الرئتين عن طريق الأنف، أما إذا انخفض فإنه يجعل طريق الهواء مفتوحاً إلى الأنف عبر التجويف الأنفي المتصل بالحلق، وذلك يكون في نطق الميم والنون، وفي حالة التنفس الاعتيادي.

أما الأسنان فهي من أعضاء النطق الثابتة، وتشترك في نطق عدد من الأصوات، وذلك باستناد طرف اللسان عليها، وبمرور الهواء من بينها. وعدد الأسنان لدى عامة الناس اثنتان وثلاثون سناً، في كل فكٍّ ست عشرة سناً، فالثنايا (٤)، والرَّباعيات (٤)، والأنياب (٤)، والضواحك (٤)، والأضراس (١٦).

٥- الشفتان:

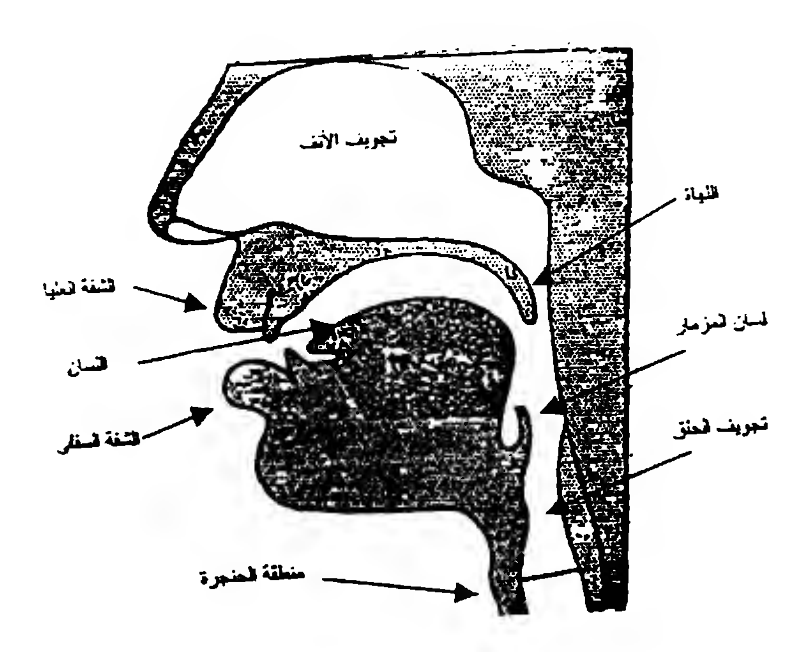
الشفتان من أعضاء النطق المتحركة، وهما تتخذان أوضاعاً متعددة، تؤدي إلى إنتاج عدد من الأصوات. فقد تنطبقان كما في نطق الباء والميم، وقد تستديران كما في نطق الواو، وقد تنفرجان كما في نطق الياء، وقد تنفتحان

كما في نطق الألف.

٦- التجويف الأنفي:

ويسمى أيضاً بالخياشيم، وهو خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم، عند التجويف الحلقي، الذي تتحكم في تسرب الهواء إليه اللهاة وما حولها من أقصى الحنك، وينتهي في الخارج بفتحتي المنخرين. وفي نطق الميم والنون يخرج النَّفس من التجويف الأنفي.

ذلكم وصف موجز لأعضاء آلة النطق عند الإنسان، وقد ألمحنا إلى شيء من وظيفة كل عضو في إنتاج الأصوات، وسوف يتضح ذلك على نحو أجلى عند الحديث عن كيفية إنتاج الأصوات، وعن مخارج وصفات الأصوات في العربية.



رسم توضيحي لأعضاء آلة النطق لدى الإنسان

المبحث الثاني

إنتاج الصوت اللغوي

إن الهواء الخارج من الرئتين هو مادة الصوت الإنساني، وعملية التنفس لدى الإنسان تتم بشكل غير إرادي، وإن كانت يمكنه التحكم بها على نحو محدود، لكن إنتاج الصوت اللغوي لا يتم إلا بالتدخل الإرادي في تكييف النَّفَس الخارج من الرئتين في أعضاء آلة النطق.

والنَّفَس حين يكون الإنسان في وضع طبيعي لا يكاد يُسمع، فإذا تدخلت أعضاء النطق في النَّفَس بحيث يكون مسموعاً صار صوتاً، فالصوت إذن هِو النَّفَس المسموع[1]. وقد منح الله تعالى آلة النطق لدى الإنسان القدرة على إنتاج عدد كبير من الأصوات المتنوعة الجَرْس، التي تؤلِّفُ كلُّ أمة لغتَها من عدد من تلك الأصوات. أما الحيوانات فإن لكثيرٍ منها آلةٌ للنطق تماثلُ أو تقارب آلة النطق لدى الإنسان لكنها لا تُخرج إلا صوتاً واحداً متشابهاً أو صوتين متتاليين دائماً.

إن الأصوات اللغوية لا تحدث إلا بعاملين رئيسيين، أحدهما: النَّفَس الخارج من الرئتين، والثاني: العارض الذي يعترض النَّفَس في الحنجرة أو الحلق أو الفم أو الشفتين، وهناك عوامل ثانوية أخرى تُكسِبُ الصوتَ جرسه المميز له[2].

---

(١) المرعشي: جهد المقل ص١٢٣ و١٤٥، وبيان جهد المقل (له) ١٦ظ. وكتابي: الدراسات الصوتية ص١١٤.

(٢) شاده: علم الأصوات عند سيبويه ص٣، وجان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص١٩-٢٠.

أولاً: دور الوترين الصوتيين في إنتاج الأصوات:

إن أول نقطة تُؤَثِّرُ في النَّفَس الخارج من الرئتين هي الحنجرة، وقد سبقت الإشارة إلى الأوضاع التي يمكن أن يتخذها الوتران الصوتيان، وهما أهم أجزاء الحنجرة المؤثرة في إنتاج الأصوات، وذلك في أثناء الكلام عن أعضاء آلة النطق، ونفصل هنا القول في تلك الأوضاع وأثرها في إنتاج الأصوات وتنوعها:

١- قد يتجافى الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر، في أثناء مرور النفس الخارج من الرئتين بهما، فيكونان في حالة استرخاء، بحيث يسمحان له بالمرور من غير أن يقابله اعتراض في طريقه، ويظلان ساكنين دون ذبذبة أو اهتزاز.

وهذه هي صفة الوترين في حالة التنفس العادي، وكذلك في حالة إنتاج عدد من الأصوات في مواضع من آلة النطق[1]. والأصوات التي تنتج في مثل هذه الحالة تسمى مهموسة، وتسمى حالة الوترين حينئذ بالهمس. فالهمس إذن هو سكون الوترين عند مرور النَّفَس بهما، والصوت المهموس هو الصوت الذي لا يتذبذب أو يهتز الوتران الصوتيان عند إخراجه من مخرجه. والأصوات المهموسة في العربية هي: هـ ح خ، ك ش س ص ت ط ث ف.

٢- قد يَتَضَامُّ (أو يقترب) الوتران الصوتيان أحدهما نحو الآخر، ويكونان مشدودين بحيث يبدوان ملتصقين، ولا يوجد بينهما فراغ، ولكن ذلك لا يمنع النَّفَس من الاندفاع خلالهما بأن يفتحهما ويغلقهما بانتظام وسرعة فائقة، فتحدث من ذلك التتابع لعملية الفتح والغلق السريعة والمستمرة، بسبب ضغط النَّفَس الصاعد من الرئتين، ذبذبات أو اهتزازات منتظمة[2] تكوِّنُ نغمةً صوتيةً،

---

(١) ينظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٤٦، وكمال محمد بشر: الأصوات ص٨٥.

(٢) إن متوسط ذبذبات الوترين الصوتيين للرجل بين ١٠٠ و١٥٠ ذبذبة في الثانية، وللمرأة بين ٢٠٠ و٣٠٠ ذبذبة (ينظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص٨٢).

تسمى الجهر، ويسمى الصوت الذي تصحب إخراجه من مخرجه مجهوراً. فالجهر إذن هو تذبذب أو اهتزاز الوترين الصوتيين، والصوت المجهور هو الذي يتذبذبُ أو يهتزُّ الوتران الصوتيان حالَ النُّطْقِ به، وجميع الأصوات العربية ما عدا المهموسة وما عدا الهمزة أصوات مجهورة.

ولكي يتضح لك أثر صفة الجهر في التمييز بين الأصوات يمكنك أن تنطق صوتين مثل ث ذ أو س ز وتطيل صوتك بهما من غير أن يصحب نُطقكَ لكلٍّ واحد منهما صوت آخر من حركة أو حرف مدٍّ، وأَجْرِ في أثناء ذلك أحد الأعمال الآتية:

أ- ضع أحد أصابعك في أذنيك.

ب- ضع أصابعك على النتوء البارز في رقبتك من أمام.

جـ- ضع كفك على جبهتك.

إنك إن فعلت ذلك سوف تُحِسُّ صفة الجهر التي ميزت الذال عن الثاء، والزاي عن السين، على شكل دَويٍّ يترددُ صداه في أذنيك أو تحس أثره بأصابعك أو كفيك.

٣- قد ينطبق الوتران الصوتيان انطباقاً تاماً محكماً، فلا يسمحان للنَّفَس بالمرور إلى التجويف الحلقي مدة انطباقهما، وعندما ينفرجان، بعد انطباقهما لحظة، يسمع صوت يشبه الانفجار، نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان مضغوطاً خلف الوترين، وهذا الصوت هو ما نسميه في العربية بصوت الهمزة.

ثانياً: نقطة اعتراض النَّفَس (المخرج):

إن مرور النَّفَس بالوترين الصوتيين لا يؤدي وحده إلى إنتاج أي صوت لغوي[١]، وإن ما يحدث في الوترين من همسٍ أو جهر ما هو إلا جزء من عملية متعددة الجوانب لإنتاج الصوت اللغوي، فما يحدث للنَّفَس في أعضاء

(١) هناك أصوات ليست لغوية تتكون من ذبذبة الوترين، وذلك مثل الأنين.

آلة النطق الواقعة بعد الوترين والحالة التي تكون عليها تلك الأعضاء هي التي تعطي الصوت جَرْسهُ الخاص به وصفاته التي تميزه.

إن النقطة التي تعترض فيها أعضاء آلة النطق تيار النَّفَس بعد أن يجتاز الوترين الصوتيين تسمى المخرج، فالمخرج إذن هو الموضع الذي ينشأ منه الصوت، أو هو الحَيِّز المُولِّد له[1]. وهناك عدة مواضع في آلة النطق يمكن أن يحدث فيها اعتراض لتيار النَّفَس وذلك على النحو الآتي:

١- يمكن أن يتم اعتراض النَّفَس في التجويف الحلقي، بما فيه الحنجرة، فإذا قَفَلَ الوتران مجرى النَّفَس لحظة ثم أطلقاه حدثت الهمزة، وإذا تضام الوتران قليلاً من غير أن يقفلا مجرى النفس ومن غير أن يتذبذبا حدث صوت الهاء، فالهمزة صوت شديد (انفجاري) والهاء صوت رخو (احتكاكي).

وإذا تقارب جانبا التجويف الحلقي حدث عدد من الأصوات، فلدينا في اللغة العربية العين والحاء يخرجان من وسط منطقة التجويف الحلقي، والفرق الرئيسي بينهما أن العين صوت مجهور والحاء صوت مهموس. والاعتراض هنا جزئي، لا يؤدي إلى قفل مجرى النَّفَس، فالعين والحاء صوتان رخوان (احتكاكيان) وسوف نوضح هذه المصطلحات فيما بعد، وإلى الأعلى من مخرج العين والحاء قليلاً يخرج الغين والخاء، ويقال فيهما ما قلناه في العين والحاء.

٢- إن النَّفَس بعد مروره بالوترين الصوتيين وتجاوزه منطقة التجويف الحلقي يمكن أن يتخذ مجراه عبر الفم أو عبر الأنف. فإذا انخفض الحنك اللين وحصل اعتراض لمجرى الهواء في بعض أجزاء الفم جرى النَّفَس من الأنف، وسُمِّيَ الصوت حينئذ أنفياً، وذلك مثل صوت النون والميم، ففي صوت النون يستند اللسان على اللثة وأصول الثنايا العليا فيسد مجرى النَّفَس من الفم فيخرج من الخيشوم، وكذلك تنطبق الشفتان في صوت الميم ويخرج النَّفَس من

---

(١) انظر: الدراسات الصوتية ص١٢٢.

الخيشوم، والذي فرّق بين الصوتين هو اختلاف وضع آلة النطق في الفم التي تؤدي إلى تباين شكل الفراغ الرنان الذي يعطي لكل من النون والميم جرسه المميز.

٣- وإذا ارتفع الحنك اللين وسَدَّ مجرى النَّفَس من الخيشوم فإنه يجرى حينئذ في الفم، ويمكن أن تعترض أعضاء آلة النطق في الفم النَّفَس في نقاط كثيرة، فيؤدي ذلك إلى إنتاج عدد كبير من الأصوات.

فمن أقصى اللسان مع ما يقابله من أقصى الحنك يخرج القاف والكاف.

ومن وسط اللسان يخرج الجيم والياء والشين.

ومن طرف اللسان يخرج اللام والراء والنون، والتاء والدال والطاء والضاد[١]، والسين والزاي والصاد، والثاء والذال والظاء، وتقسم هذه الأصوات إلى مجموعات بحسب الجزء الذي يلتقي به طرف اللسان، ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا تخرج الفاء، ومن بين الشفتين تخرج الباء والواو وتنطبق الشفتان للميم.

ثالثاً: مقدار اعتراض آلة النطق للنفَس في مخارج الأصوات:

١- قد يكون اعتراض آلة النطق للنَّفَس في مخرج الصوت كاملاً، بحيث يؤدي التقاء عضوين من أعضاء آلة النطق إلى قفل مجرى النَّفَس، فينحصر لحظة، ثم ينفرج العضوان فجأة فيحدث صوت يشبه الانفجار، وقد سَمَّى المتقدمون من علماء العربية وعلماء التجويد هذا النوع من الأصوات (شديداً)، وسَمَّاه كثير من دارسي الأصوات العربية المحدثين (انفجارياً). ومثل هذا النوع من أصوات العربية القاف والكاف والجيم والدال والتاء والطاء والضاد[٢] والباء.

---

(١) الضاد التي ينطقها أهل العراق لا تختلف عن الظاء في شيء، ونحن حين نتكلم عن الضاد هنا نعني بها الضاد التي ينطقها مجيدو قراءة القرآن في مصر، فهي في نطقهم تختلف عن الظاء، والقضية فيها مقال سوف نعرض له في مكانه، إن شاء الله تعالى.

(٢) ينظر الهامش السابق.

٢- وقد يكون اعتراض آلة النطق للنَّفَس في مخرج الصوت غير كامل، بحيث يظل بين العضوين منفذ ضيق يتسرب منه النَّفَس فيحدث الصوت من احتكاك الهواء في ذلك المنفذ الضيق في أثناء تسربه للخارج، وتتفاوت الأصوات التي تتكوَّن بهذه الطريقة في مقدار التضييق للمجرى وفي موضعه، وهذا التفاوت هو الأساس في اختلافها في السمع. وسمَّى المتقدمون هذا النوع من الأصوات بالأصوات الرخوة، بينما سمَّاها كثير من المحدثين بالأصوات الاحتكاكية، وهي الهاء والحاء والعين والخاء والغين والشين والسين والزاي والصاد والثاء والذال والظاء والفاء.

٣- وهناك مجموعة من الأصوات يحدث في إنتاجها اعتراض لمجرى النَّفَس لكنه يتسرب من موضع آخر من آلة النطق، فهي تبدو شديدة (انفجارية) في مبدئها، رخوة (احتكاكية) في منتهاها، وذلك في مثل النون والميم واللام والراء، فالنون والميم ينسد مجرى النفس معهما في الفم أو الشفتين، لكنه ينفتح من الخيشوم فيخرج النفس من الأنف، واللام يعترض في إنتاجها اللسان في مجرى النَّفَس باستناده إلى اللثة، لكنه يتسرب من جانبي اللسان، والراء عبارة عن حبس وإطلاق متتابع سريع للنفس، ومن ثَمَّ سُمِّيَتْ هذه الأصوات متوسطة، أي هي بين الشديدة والرخوة.

٤- وهناك مجموعة من الأصوات لا يحدث في أثناء إنتاجها إلا اعتراض محدود لمجرى النَّفس، فيمر الهواء حرّاً طليقاً خلال الحلق والفم. ويحدث هذا في نطق أصوات المد واللين الثلاثة: الواو والياء والألف، وتتميز الألف بانفتاح الفم عند نطقها والواو باستدارة الشفتين، والياء بتصعد وسط اللسان نحو الحنك الأعلى قليلاً. والحركات الثلاث الفتحة والضمة والكسرة شأنها شأن الأصوات الثلاثة، لأن الفتحة من الألف والضمة من الواو والكسرة من الياء، وإنما فَرَّق بينها الطولُ والقصرِ. وهذه جميعها أصوات مجهورة، ولولا الجهر لصارت أقرب إلى النَّفس المجرد.

ولعلماء التجويد والأصوات كلام عن تميز الواو والياء في مثل (قَوْل وبَيْع)

عنهما في مثل (نَقُولُ، ونَبِيعُ)، سوف نعرض له في مكان لاحق إن شاء الله تعالى، لأن غرضنا هنا توضيح كيفية إنتاج الأصوات بشكل عام دون الخوض في تفاصيل وصفات كل صوت من الأصوات.

من العرض السابق لكيفية إنتاج الأصوات اللغوية ندرك أن إنتاج الصوت الواحد قد يتطلب عدداً من حركات أعضاء النطق، لأن عملية التصويت عملية مركبة تتجمع عناصرها من خلال حركة أكثر من عضو من أعضاء النطق، فلكي نحدد خصائصَ صوتٍ ما علينا أن نحدد النقطة التي يتم إنتاجه فيها أولاً، ثم معرفة كيفية مرور النفس في تلك النقطة ثانياً، ثم معرفة حالة الوترين الصوتيين في أثناء إنتاج الصوت ثالثاً، وقد تشترك عوامل أخرى في إعطاء الصوت جرسه المميز له عن غيره. إن الوقوف على كيفية إنتاج كل صوت ومعرفة خصائصه له مكان آخر من هذا الكتاب.

المبحث الثالث

تصنيف الأصوات اللغوية

إن الأصوات التي يمكن أن تُحْدِثَها آلةُ النطق لدى الإنسان كثيرة جداً، لكن كل لغة تستعمل عادة عدداً محدوداً منها، يتفاوت من لغة إلى أخرى، ويلجأ الدارسون إلى تصنيف أصوات اللغة إلى مجموعات ليسهل درسها والتعرف على خصائصها، ويتم ذلك استناداً إلى عدد من الأمور:

١- إن أول تصنيف للأصوات يُعنى به الدارسون هو تقسيمها إلى جامدة وذائبة باصطلاح بعض علماء التجويد المتقدمين، أو صامتة ومصوتة باصطلاح عدد من الدارسين. ويعتمد هذا التقسيم بشكل كبير على كيفية مرور النَّفَس في آلة النطق.

والصوت الذائب هو صوت يتميز بأنه الصوت المجهور الذي يحدث في أثناء النطق به أن يمر الهواء حُرّاً طليقاً خلال الحلق والفم من غير أن يقف في طريقه أي عائق يؤدي إلى تضييق مجرى الهواء ضِيقاً من شأنِه أن يُحْدِثَ احتكاكاً مسموعاً.

والصوت الجامد هو الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في أثناء النطق به أن يعترض بعضُ أعضاء آلة النطق على مجرى الهواء اعتراضاً كاملاً، كما في نطق صوت الكاف والباء مثلاً، أو اعتراضاً جزئياً من شأنه أن يمنع انطلاق الهواء بحرية عبر الحلق والفم، كما في نطق الحاء والزاي مثلاً[1].

---

(١) ينظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٦٠، وكمال محمد بشر: الأصوات ص٩٢.

وكان أحمد بن أبي عمر قد وضح هذين المصطلحين على نحو محدد وذلك في قوله: «والحروف الذائبة ثلاثة: الياء المكسور ما قبله، والواو المضموم ما قبله، والألف ولا يجيء إلا مفتوحاً ما قبله، وهذه الحروف حروف المد واللين، سميت بذلك لأنها تذوب وتلين وتمتد، وما عداها جامد لأنه لا يلين ولا يذوب ولا يمتد»[1].

والأصوات الجامدة في العربية ثمانية وعشرون هي: ء (الهمزة) هـ ع ح غ خ، ق ك، ي (في مثل يَعِدُ وبَيْت) ج ش، ل ر ن، ت د ط ض، س ز ص، ظ ذ ث، ف، م ب و (في مثل وَعَدَ وحَوْض).

والأصوات الذائبة في العربية ثلاثة: الواو المضموم ما قبلها في مثل (ذُو) والياء المكسور ما قبلها في مثل (في) والألف ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً وذلك في مثل (مَا)، وهي التي سمَّاها المتقدمون من علماء العربية والتجويد بحروف المد واللين.

والجمهور من العلماء المتقدمين، ويؤيدهم كثير من المحدثين، أن الحركات الثلاث: الضمة والفتحة والكسرة، مأخوذة من أصوات المد الثلاثة، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو[2]. فأصوات اللغة العربية الأساسية واحدٌ وثلاثون صوتاً، منها ثمانية وعشرون صوتاً جوامد، وثلاثة أصوات ذوائب، والحركات الثلاث نوع من الذوائب.

وأهمية الأصوات الجامدة والذائبة في بناء اللغة تكاد تكون متساوية، إن لم تكن الذوائب أكثر أهمية، وينبغي ألاّ ينخدع الدارس بوجود رموز للأصوات الجامدة، وعلامات لأصوات الحركات، فالكتابة لها نظمها التي لا تراعى فيها

---

(١) الإيضاح ص٣١٨.

(٢) ينظر: سيبويه: الكتاب ٤/١٠١ و٢٤١ و٣٠٩، وابن جني: سر صناعة الإعراب ١٩/١، والداني: التحديد ص١٠٩، وابن الجزري: النشر ٢/٢٠٤.

دائماً الحقائق الصوتية، على ما سنوضح ذلك في المبحث الآتي، إن شاء الله تعالى.

٢- وتُصَنَّفُ الأصوات الجامدة بالاستناد إلى عدد من الأمور التي تتعلق بكيفية حدوثها في آلة النطق، وأهمها:

أ- تُصَنَّفُ إلى مجهورة ومهموسة، وذلك بحسب حالة الوترين الصوتيين عند نطق كل صوت.

ب- تُصَنَّفُ إلى مجموعات بحسب النقطة التي يخرج منها الصوت في آلة النطق، وهو المخرج، وذلك لاشتراك الصوتين أو الثلاثة أو الأربعة في المخرج الواحد، وتقوم الكيفيات (أي الصفات) المصاحبة لإنتاج كل صوت بالتمييز بينها.

جـ- تُصَنَّفُ إلى شديدة (انفجارية) ورخوة (احتكاكية)، ومتوسطة بينهما بالاستناد إلى حالة ممر الهواء في المخرج.

٣- وتصنف الأصوات الذائبة أيضاً إلى:

أ- قصيرة وطويلة بالاستناد إلى مقدار الزمن الذي يستغرقه نُطقُ كل منها.

ب- أمامية وخلفية، وذلك بحسب الجزء الذي يشترك من اللسان في إنتاجها.

جـ- ضيقة وواسعة، وذلك بحسب مقدار فتحة ممر الهواء في المخرج.

☆ ☆ ☆ ☆

وقد اعتاد علماء العربية وعلماء التجويد وكثير من دارسي الأصوات اللغوية المحدثين على دراسة الأصوات والتعرف على خصائصها الصوتية من خلال البحث في مخارج الأصوات، والكيفيات المصاحبة لتكوُّن الصوت في مخرجه، أي الصفات، وسوف نعتمد هذا المنهج لوضوحه وتحقيقه الغرض المرجو من

الدراسة وهو التعرف على حقائق الأصوات وخصائصها النطقية، وذلك بعد أن نوضح علاقة الكتابة بدراسة الأصوات اللغوية.

المبحث الرابع

الكتابة وعلاقتها بدراسة الأصوات

الكتابة نظام من الرموز والعلاقات تستخدم لتمثيل أصوات اللغة، لكن معظم الكتابات المعروفة تعاني من قصور في تمثيل النطق تمثيلاً دقيقاً، ويتفاوت ذلك القصور باختلاف الكتابات، ويُعَدُّ ما نجده في العربية شيئاً يسيراً مما هو معروف في الكتابات الأخرى(١).

إن اللغة تَتمثَّلُ في شكلها المنطوق، أما الكتابة فهي وسيلة لتسجيل أصوات اللغة، وقد كانت الكتابة أهم وسيلة لتحقيق ذلك الهدف، لكن استجدت وسائل أخرى في عصرنا، قد تكون أكثر دقة، مثل التسجيل الصوتي بالأجهزة.

إن دارس الأصوات ومتعلم التجويد عليه أن يحذر من الاعتماد كلياً على الكتابة، لأن الكتابة لا تطابق النطق دائماً، وقد حَذّر علماء التجويد قديماً من تعلم القرآن من المصحف(٢)، لأن رسم المصحف خاصة والكتابة العربية عامة لا تطابق النطق دائماً. وقال ابن المنادي (أحمد بن جعفر ت٣٣٦هـ): «إنَّ من المكتوب ما لا تجوز به القراءة من وجه الإعراب، وإن حكمه أن يُتْرَكَ على ما خُطَّ، ويُطلقَ للقارئين أن يقرؤوا بغير الذي يرونه مرسوماً»(٣).

---

(١) يقول اللغوي الفرنسي ج. فندريس في كتابه (اللغة ص٤٠٥) عن قصور الكتابة: «فلا يوجد شعب لا يشكو منه إنْ قليلاً وإن كثيراً، غير أن ما تعانيه الفرنسية والإنجليزية من جرائه قد يفوق ما في غيرهما، حتى إن بعضهم يعد مصيبة الرسم (الكتابة) عندنا كارثة وطنية». وينظر أيضاً: ماريو پاي: أسس علم اللغة ص٦٠.

(٢) ينظر: العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف ص١٠.

(٣) نقلاً عن الداني: المحكم ص١٨٥.

إن الناظر في طريقة رسم الكلمات في المصاحف يجد عدداً من الكلمات قد رُسمت بغير ما تعارف الناس عليه في الإملاء المستعمل اليوم مثل حذف رموز بعض الأصوات، كالألف في (العٰلمين، وملٰك)، أو كتابة بعض الأصوات بغير الرموز التي تمثلها مثل (الصلوٰة والزكوٰة والحيوٰة، وموسىٰ وعيسىٰ والذكرىٰ)، أو وجود رموز ليس لها مقابل صوتي منطوق، وذلك مثل الألف في (آمنوا، وكفروا، وملاقوا)[1].

ومِن ثَمَّ وَجبَ على دارس علم التجويد أن يعرف خصائص رسم المصحف حتى يُصحِّحَ نُطقه ولا يقع في الخطأ بسبب ذلك، وينبغي أن يكون واضحاً لديك أن ما تميز به رسم المصحف من قضايا، وما تجده في الكتابة العربية من مظاهر القصور عن مطابقة النطق كل ذلك يعد شيئاً يسيراً عما تعانيه الكتابات الأخرى، وتظل الكتابة العربية متميزة بوضوح إملائها ودلالته على النطق بشكل يكاد يكون تاماً.

إن من الظواهر التي تميزت به الكتابة العربية أنها جعلت لبعض الأصوات علامات توضع فوق الحروف وهي علامات الحركات، الفتحة والضمة والكسرة، وذلك يرجع إلى عوامل تاريخية وليس إلى خاصية لغوية. وعلى دارس الأصوات أن يكون واضحاً لديه أن تخصيص علامات للحركات توضع فوق الحروف لا يعني أن هذه الأصوات لها أهمية أقل من أهمية الأصوات الأخرى التي وضعت لها رموز الحروف. فالفعل (كَتَبَ) مثلاً يتألف من ستة أصوات هي: الكافُ والفتحة، والتاء والفتحة، والباء والفتحة.

إن دارس علم الصرف قد يجد أن (ك ت ب) لها أهمية في تحديد معنى الكلمة أكثر من الفتحات الثلاث، لأن هذه الفتحات يمكن أن تتغير أو تزول من بنية الكلمة، أما الأصوات الثلاثة (ك ت ب) فإنها تظل ملازمة لها، فإذا قيل: كُتِبَ، كاتِبٌ، كِتَاب، مكتبة إلخ، نجد أن الأصوات الثلاثة لم تختف من

---

(١) ينظر في تفصيل الموضوع: كتابنا: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، وفيه دلالة إلى مصادر الموضوع القديمة.

بنية هذه الكلمات بينما الحركات تبدلت فيها.

إن دارس الأصوات لا تشغله كثيراً تلك القضية، فالأصوات لديه لها أهمية واحدة في العملية النطقية، سواء كانت حركات أو أصواتاً أخرى. وهو يدرس كيفية تكونها في آلة النطق ويبحث عن خصائصها النطقية، ويَتتبَّعُ ما يَلحقُها في الكلام المنطوق من تغير بسبب مجاورة الأصوات الأخرى، بطريقة واحدة، من غير أن يَعُدَّ بعض الأصوات أصولاً وبعضها فروعاً، أو أن بعضها أكثر أهمية من بعض.

ولما كانت الكتابات قاصرة بشكل عام عن تمثيل النطق تمثيلاً دقيقاً فقد لجأ علماء الأصوات المحدثون إلى اصطناع كتابة خاصة بهم، تسمى الكتابة الصوتية[١]، وهذه الكتابة تعتمد الحروف اللاتينية بشكل أساسي، لأن علماء اللغة الأوربيين كانوا أول من وضع أسس هذه الكتابة، وذلك لمواجهة كتاباتهم القومية القاصرة أولاً، ولدراسة لغات الشعوب التي استعمرتها دولهم في العصر الحديث ثانياً، وكثير منها لغات منطوقة لم تدوّن من قبل.

أما دارسو الأصوات العربية المحدثون فإنهم لم يتفقوا على طريقة للكتابة الصوتية العربية، ولا نجد هنا ضرورة للخروج على رموز الكتابة العربية، لأنها تناسب دراسة الأصوات العربية إلى حد كبير، وفي الحالات النطقية التي لا تَفي بها الكتابةُ العربية نحاول أن نُوضِّحها بالوصفِ لها، إلى أن تستقر طريقة محددة لكتابة الأصوات العربية كتابة صوتية[٢].

---

(١) ينظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٢١-١٣١.

(٢) ينظر: كتابي: المدخل إلى علم أصوات العربية ص٢٨-٣٧، طبع دار عمار، الأردن، ٢٠٠٤م.

الفصل الثالث

الأصوات العربية مخارجها وصفاتها

المبحث الأول

مخارج الأصوات الجامدة

إنَّ قطب التجويد ومِلاك التحقيق معرفة مخارج الحروف[١]، وقد اعتنى علماء التجويد بهذا الموضوع عناية كبيرة، وهم يقتفون في دراسته أثر سيبويه وقد صرحوا أن الصواب ما رتبه سيبويه، وتلاه أصحابه عليه، لأن التأمل والذوق يشهد بصحته[٢].

ويَتَّبِعُ علماء التجويد في تعيين مخرج الصوت طريقة الخليل بن أحمد في ذوق الحروف، وذلك بأن يُنْطَقَ بالصوت ساكناً بعد إدخال همزة الوصل عليه، فحيثما يستقر اللسان فَثَمَّةَ مخرجُ الصوت[٣]، ولا تزال هذه الطريقة مقبولة لدى المحدثين من دارسي الأصوات[٤].

وهناك وجهتان في ترتيب مخارج الأصوات[٥]:

الأولى هي: البدء بأقصى موضع من آلة النطق يمكن أن يخرج منه صوت

---

(١) الداني: التحديد ص١٠٤.

(٢) القرطبي: الموضح ص٨١، وقد قال الداني (التحديد ص١٠٤): «هو الصحيح المعوَّل عليه».

(٣) العين ١/٤٧، والداني: التحديد ص١٠٤.

(٤) ينظر: رمضان عبد التواب: المدخل ص١٥.

(٥) المرعشي: بيان جهد المقل ٩و.

لغوي، وهو أقصى الحلق (الحنجرة) ثم الانتقال إلى الموضع الذي يليه باتجاه الخارج. فيكون أول المخارج في الحنجرة وآخرها في الشفتين. وهذا هو الذي سار عليه جمهور المتقدمين، لأن النَّفَس الذي يحدث به الصوت يخرج من الداخل، وأول نقطة يمكن أن يتكون فيها صوت هي الحنجرة.

والثانية: أن يكون أول المخارج في الشفتين، وآخرها أقصى الحلق، وهو الذي أخذ به بعض المُحدَثين متأثرين في ذلك بالدرس الأوروبي للأصوات[١].

وهذه مخارج الأصوات الجامدة في اللغة العربية:

المخرج الأول: أقصى الحلق (الحنجرة)، تخرج منه الهمزة والهاء.

المخرج الثاني: وسط الحلق، تخرج منه العين والحاء.

المخرج الثالث: أدنى الحلق إلى الفم، تخرج منه الغين والخاء.

المخرج الرابع: أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى تخرج منه القاف.

المخرج الخامس: أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى لكنه أدنى إلى مقدم الفم، تخرج منه الكاف.

المخرج السادس: وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، تخرج منه الجيم والشين والياء.

---

(١) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٩٩، وكمال محمد بشر: الأصوات ص١١٢، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص٢٦٩.

المخرج السابع: طرف اللسان بينه وبين أصول الثنايا (اللِثَة)، تخرج منه اللام والراء والنون.

المخرج الثامن: بين طرف اللسان وأصول الثنايا أيضاً، تخرج منه التاء والدال والطاء والضاد.

المخرج التاسع: بين طرف اللسان وصفحة الثنيتين العُلْيين الداخلية، تخرج منه السين والزاي والصاد.

المخرج العاشر: بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، تخرج منه الثاء والذال والظاء.

المخرج الحادي عشر: من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، تخرج منه الفاء.

المخرج الثاني عشر: من بين الشفتين تخرج منه الباء والميم والواو.

وهناك عدد من القضايا المتعلقة بمخارج الأصوات الجامدة بها حاجة إلى التوضيح:

١- كان سيبويه قد جعل المخارج ستة عشر مخرجاً[١]، وتابعه جمهور علماء العربية وكثير من علماء التجويد المتقدمين في ذلك[٢]، وينحصر الخلاف بين ما ذهب إليه سيبويه وما ذكرناه هنا في ما يأتي:

أ- جَعَلَ سيبويه اللام والراء والنون من ثلاثة مخارج، وأدرجناها في مخرج واحد، متابعين في ذلك الفرَّاء (يحيى بن زياد ت٢٠٧هـ)، وقُطْرُباً (محمد بن المستنير ت٢٠٦هـ)، والجَرْمِيَّ (صالح بن إسحاق ت٢٢٥هـ)، وابن كيسان

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) ابن جني: سر صناعة الإعراب ١/٥٢، ومكي: الرعاية ص١١٨، والداني: التحديد ص١٠٤.

(محمد بن أحمد ت٢٩٩هـ)، الذين جعلوها من مخرج واحد[١]. وذلك للقرب الشديد بينها.

ب- جَعَلَ سيبويه للضاد مخرجاً مستقلاً هو «من بين أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس»[٢]. وهذا الوصف لمخرج الضاد لا ينطبق على نطق الضاد في عصرنا، فالناس في العراق وفي كثير من البلدان ينطقونها ظاءً، والناس في مصر وفي عدد من البلدان ينطقونها دالاً مطبقة. وقد أدرجناها في مخرج التاء والدال والطاء على نطق قُرَّاء القرآن في مصر[٣].

جـ- جعل سيبويه مخرجاً مستقلاً للنون الخفية (المُخْفاة)، وهو (الخياشيم)[٤]، ولم نذكر هذا المخرج لأن النون المخفاة فرع للنون الأصلية، وكان ابن الطحان (عبد العزيز بن علي ت حوالي ٥٦٠هـ) قد أهمل مخرج النون الخفية[٥].

٢- ذهب بعض الدارسين المحدثين إلى جعل الغين والخاء والكاف من مخرج واحد بعد مخرج القاف، فيكون ترتيبهم للأصوات حسب المخارج هكذا: ء هـ/ ع ح/ ق/ غ خ ك[٦]. وهذا شيء لا يقوم عليه دليل، فإن التجربة الذاتية تشير إلى أن القاف أقرب إلى الغين والخاء من الكاف. وكان

---

(١) الداني: التحديد ص١٠٦، والسيوطي: همع الهوامع ٦/ ٢٨٩.

(٢) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٣) أما قراء القرآن في العراق فإن منهم من يقلد نطق القراء المصريين، ومنهم من ينطقها ظاء، ومنهم من يعطف طرف لسانه ذات اليمين أو ذات الشمال، محاولاً الإتيان بالضاد القديمة، ولكن ذلك كله لا يمثل الضاد التي وصفها سيبويه.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٣٤.

(٥) مرشد القارىء ص٣٠.

(٦) ينظر مثلاً: تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص٨٥-٨٦، ورمضان عبد التواب: المدخل ص٣١.

سيبويه قد أتى بتجربة تدل على ذلك حيث قال: «والدليل على ذلك أنك لو جافيت بين حَنَكَيْك فبالغتَ ثم قلت: قَقْ قَقْ، لم تَرَ ذلك مُخِلاًّ بالقاف، ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أَخَلَّ ذلك بهن»[1]. ولو فعلنا ما ذكره سيبويه ونطقنا بالغين والخاء لتأتَّى النطقُ بهما مثل القاف، فدلَّ ذلك على أن القاف أقرب إليهما من الكاف. وهذا لا يعني أن القاف من مخرجهما، فالأمر مفتقر إلى دليل أكيد، ومن ثم جعلناهما من مخرج واحد، وجعلنا القاف والكاف كل واحد منهما من مخرج مستقل، على نحو ما رتبها سيبويه وتابعه علماء العربية والتجويد عليه.

٣- إذا كانت الأصوات الجامدة في العربية ثمانية وعشرين صوتاً والمخارج اثني عشر مخرجاً فإن ذلك يعني أن عدداً من الأصوات قد تشترك في المخرج الواحد، وهذا ما تلاحظه في أكثر المخارج. فالمخارج التي انفردت بصوت واحد هي مخارج: القاف والكاف والفاء، أما بقية المخارج فإنه يخرج من المخرج الواحد الصوتان والثلاثة والأربعة.

والأصوات التي تخرج من مخرج واحد يُفرِّقُ بينها في السمع اختلافُ صفاتها، فقد يكون الاختلاف في الجهر والهمس، أو في الشدة والرخاوة، وغير ذلك، على ما سيتضح بعدُ إن شاء الله.

وقد ذكر بعض علماء العربية المتقدمين احتمال أن يكون لكل صوت مخرج واحد[2]. ولكن هذا الرأي لم يجد له سبيلاً إلى أفكار الدارسين وقد بَيَّنَ العلماء المحققون بطلانه، فقد قال علي القاري، معلقاً على قول من قال: إن لكل صوت مخرجاً مخالفاً لمخرج الآخر، وإلاَّ لكان إياهُ: «قلتُ:

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٨٠.

(٢) ينظر: ابن الحاجب: الإيضاح في شرح المفصل ٢/ ٤٨٠، والاسترباذي: شرح الشافية ٣/ ٢٥١، والسيوطي: همع الهوامع ٦/ ٢٩٢.

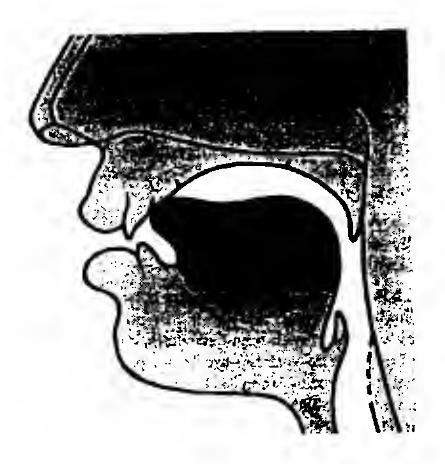
هـذا التعليـل بعيـد مـن التحقيـق، فـإن الجمهـور مـن أربـاب التـدقيـق جعلـوا لحروفٍ متعددة مخرجاً واحداً بناء على أن التمييز حاصل باعتبار اختلاف الصفات»[١].

وإذا أردت مثالاً واضحاً على اشتراك أكثر من صوت في مخرج واحد فخذ مرآة وأمسك بها أمام وجهك، وانطق بالثاء والذال والظاء، وتأمل موضع لسانك تجدْ أنه لم يتغير، وهذا دليل على اتحاد مخرج هذه الأصوات الثلاثة، ولعلك تتساءل عن سبب اختلاف جروسها في السمع، فالجواب هو أن الذي فَرَّق بينها هو أن الثاء صوت مهموس، والذال مجهور، والظاء مجهور مطبق. وهذا الأمر واضح وينطبق على جميع المخارج ذات الأصوات المتعددة، خاصة إذا كانت أصوات المخرج الواحد متحدة في صفة الشدة أو الرخاوة، مثل: ت د ط ض، ومثل س ز صُ، أما إذا اختلفت مثل: ج ي ش، ومثل: ل ر ن، فإنها تندرج في مخرج واحد كلي، وقد يكون لكل واحد منها مخرج جزئي، وهذا هو السبب الذي أدى إلى اختلاف العلماء في جعل (ل ر ن) من مخرج واحد أو من ثلاثة مخارج.

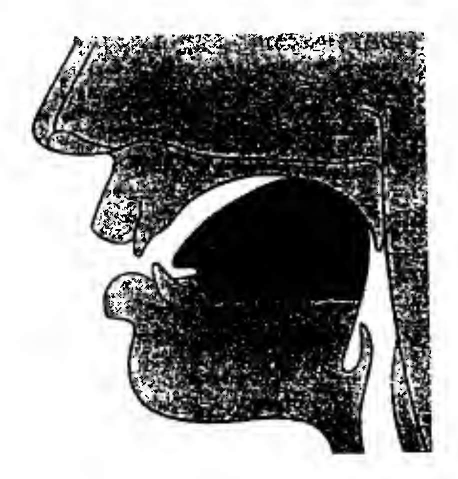
الخلاصة هي أن القول بأن لكل صوت مخرجاً مستقلاً غير صحيح، وناتج عن نظرةٍ سطحية لا تدرك خصائص النطق الدقيقة.

---

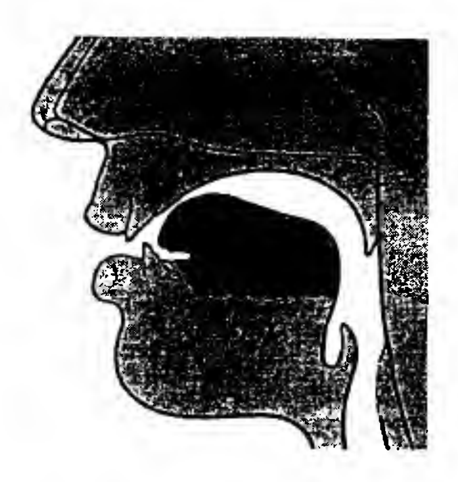
(١) المنح الفكرية ص٩.



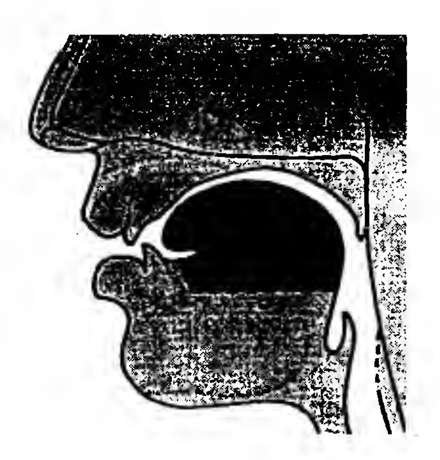
رسم توضيحي لأعضاء آلة النطق في حالة نطق الدال والتاء



رسم توضيحي لأعضاء آلة النطق في حالة نطق الكاف



رسم توضيحي لأعضاء آلة النطق في حالة نطق السين



رسم توضيحي لأعضاء آلة النطق في حالة نطق الشين

المبحث الثاني

صفات الأصوات الجامدة

إن تحديد مخرج الصوت لا يكفي وحده في توضيح خصائصه النطقية التي تميزه عن غيره، لاشتراك عدة أصوات في مخرج واحد أحياناً، فالصوت يحدث من عملية مركبة تتألف من ثلاثة أمور[1]:

أولها: الأعضاء التي تتدخل معترضة الهواء الخارج من الرئتين.

وثانيها: الطريقة التي تتدخل بها هذه الأعضاء.

وثالثها: حالة الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت (الجهر والهمس).

فالأمر الأول هو ما سماه الدارسون مخرج الصوت، والأمران الآخران يُبيِّنان الكيفيةَ المصاحبة لحدوث الصوت في مخرجه، وقد سَمَّوْها الصفات، فصفات الأصوات إذن كيفياتٌ مصاحبة لتكوُّنِ الصوتِ في المخرج[2]، سواء كانت تبين كيفية مرور الهواء في المخرج أم توضح حالة الوترين، أو توضح عملية نطقية ثانوية تشكل جزءاً مُهِمّاً في تميز الصوت عن غيره، فالصوت إذن لا تتحدد خصائصه الصوتية إلا بالوقوف على مخرجه وصفاته.

وقد جعل عدد من علماء التجويد صفات الأصوات على قسمين هما[3]:

١- صفاتٌ مُمَيِّزَةٌ: تميز الأصوات المشتركة في مخرج واحد وهي: الجهر

---

(١) عبد الرحمن أيوب: محاضرات في اللغة ص٩٤.

(٢) طاش كبري زاده: شرح المقدمة الجزرية ١١و. وينظر: محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص٤٣.

(٣) المرادي: المفيد ص٥٢، والوفائي: الجواهر المضية ٢٥ظ.

والهمس، والشدة والرخاوة، والإطباق والانفتاح.

٢- صفاتٌ مُحَسِّنةٌ، لا تفرق بين الأصوات، لكنها تعطي الصوت صفة نطقية يمتاز بها هو، فهي محسنةٌ للأصوات فقط، ولا تكون سبباً لتمييزها عن غيرها، وذلك مثل: القلقلة، والصفير، والغنة، والانحراف، والتكرير، والتفشي، والاستعلاء.

أولاً: الصفاتُ الْمُمَيِّزَةُ:

١- الجهر والهمس:

الصوت المجهور هو الذي يتذبذب (أو يهتز) الوتران الصوتيان عند نُطقه. والصوت المهموس هو الذي لا يتذبذب (أو لا يهتز) الوتران الصوتيان عند نطقه. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الحديث عن إنتاج الأصوات.

وصفة الجهر والهمس تميز بين أصوات من مخرج واحد، فلولا الجهر في العين والهمس في الحاء لكانا صوتاً واحداً، وكذلك الغين والخاء، والتاء والدال، والسين والزاي، والثاء والذال، فإن وجود صفة الجهر في أحدهما وفقدانها في الآخر قد ميزت بينهما في السمع.

والأصوات الجامدة المجهورة في العربية خمسة عشر صوتاً هي: ع غ/ ج ي/ ل ر ن د ض ز ذ ظ م ب و.

والأصوات المهموسة ثلاثة عشر صوتاً هي: ء هـ ح خ ق ك ش ت ط س ص ث ف.

وهذا التقسيم للأصوات إلى مجهورة ومهموسة ينطبق على نطق مجيدي قراءة القرآن في عصرنا، وعلى نطق العربية الفصيح، وهو يخالف مذهب علماء العربية وعلماء التجويد في إخراج ثلاثة أصوات من المجهورة وإلحاقها بالمهموسة، وهي: (ء ق ط) فوصفوها بأنها مجهورة[1]، وهي اليوم

(١) ينظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٤، وابن جني: سر صناعة الإعراب ١/٦٩، ومكي: =

مهموسة[1]. وكان بعض العلماء السابقين قد جمع الأصوات المهموسة في قوله (سكت فحثه شخص) ولكن ينبغي أن تضيف إليها اليوم (أ ق ط).

أ- أما الهمزة فإن الراجح أن نُطقها لم يتغير أو يتبدل، وأن الصوت الذي وصفه المتقدمون بأنه مجهور هو الصوت الذي ننطقه الآن، وقد وصفه بعض الدارسين المحدثين بأنه مهموس لعدم ذبذبة الوترين عند نطقه[2]. ووصفه بعضهم بأنه لا مجهور ولا مهموس، لأن نطق الهمزة يقتضي انطباق الوترين ثم انفراجهما، وهي كيفية لا تسمح بوصف الصوت بجهرٍ أو همس[3].

ب- أما القاف والطاء فإن هناك ثلاثة احتمالات لوصف المتقدمين لهما بالجهر:

١- احتمال أنهم أخطؤوا.

٢- احتمال أن هاذين الصوتين كانا مجهورين، ثم تغيرا في عصور لاحقة حتى صارا مهموسين.

٣- احتمال أنهم وصفوا نوعاً مجهوراً من تلك الأصوات كان سائداً في نطق بعض العرب[4].

= الرعاية ص٩٢، والداني: التحديد ص١٠٧.

(١) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٦٢ و٨٥ و٩١، ومحمود السعران: علم اللغة ص١٦٨ و١٧٠، وكمال محمد بشر: الأصوات: ص١٣٠ و١٤١ و١٤٦، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص٢٩٤-٢٩٥، وحسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية ص٣١٢-٣١٤، ورمضان عبد التواب: المدخل ص٧٥ و٧٨.

(٢) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص٩٧، وعبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص١٨٣.

(٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٩١، ومحمود السعران: علم اللغة ص١٧١، وكمال محمد بشر: الأصوات ص١٤٢.

(٤) ينظر التفصيل: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٠٤ وما بعدها، والمدخل إلى علم أصوات العربية ص٢٩١-٢٩٨، طبع دار عمار/ الأردن.

٢- الشدة والرخاوة والتوسط بينهما:

يعتمد وصف الصوت بالشدة والرخاوة على كيفية مرور الهواء في مخرج الصوت، فإذا حُبِسَ النَّفَسُ في المخرج حبساً كاملاً ثم أطلق بعد ضغطه لحظة كان الصوت شديداً (انفجارياً)، وإذا حصل تضييق لمجرى النَّفَس في المخرج من غير أن يحتبس كان الصوت رخواً (احتكاكياً).

وبعض الأصوات يحصل في أثناء النطق به اعتراضٌ لمجرى النَّفَس في المخرج، ولكن لا يحصل حبسٌ تام، لأن النَّفَس يجد له منفذاً يتسربُ منه، ويسمى الصوت حينئذ متوسطاً.

والأصوات الشديدة في العربية: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والضاد، والباء.

والأصوات الرخوة: الهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والياء، والواو.

والأصوات المتوسطة: اللام، والراء، والنون، والميم.

وها هنا ملاحظتان:

أ- هناك مَنْ يعد الأصوات المتوسطة ثمانية ويجمعها في قوله: (لَمْ يَرْوِ عَنَّا)، وهناك من يعدها سبعة ويجمعها في قوله: (نولي عمر)، وهناك من يجعلها خمسة ويجمعها في قوله: (لم نرع)، ويترجَّحُ لديَّ أنَّها أربعة وذلك لأن العين أخت الحاء، ولا يفرق بينهما إلا الجهر في العين والهمس في الحاء، والحاء رخوة. ولأن الألف من الأصوات الذائبة التي لا تدخل في ما نحن بصدد الحديث عنه، وكذا الواو في (أدعو) والياء في (أرمي). أما الواو في (حَوْض) والياء في (بَيْت) فَجعلُهما في الأصواتِ الرخوة أَوْلى[1]، لما فيهما

(١) يمكن الاطلاع على مناقشة مفصلة للموضوع في كتابنا: الدراسات الصوتية ص٢٢١ وما بعدها.

من اللين، وجريان النَّفَس فيهما واضح بيِّن.

ب- جعل سيبويه الضاد من الأصوات الرخوة[1]، وهذا الوصف إنما ينطبق على الضاد القديمة التي مخرجها من (بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس). أما الضاد المنطوقة اليوم بألسنة مشهوري قراءة القرآن فإنها شديدة، ومخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا (اللثة) مع التاء والطاء والدال، وهي النظير المطبق للدال.

وكان بعض علماء التجويد قد جمع الأصوات الشديدة في قوله: (أجدك قطبت)، وينبغي أن تضيف إليها الضاد، على نطق من جعله شديداً مثل الدال وأخواته، لكن ذلك يتوقف على وروده في الرواية.

٣- الإطباق والانفتاح:

الإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له، فينحصر الصوت فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الصوت، والانفتاح أن لا تطبق ظهر لسانك برفعه إلى الحنك، فلا ينحصر الصوت[2].

وكان سيبويه قد فَصَّلَ القول في هاتين الصفتين حيث قال: «ومنها المطبقة والمنفتحة. فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء. والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تُطبقُ لشيءٍ منهن لسانكَ ترفعه إلى الحنك الأعلى.

وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف. وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن.

---

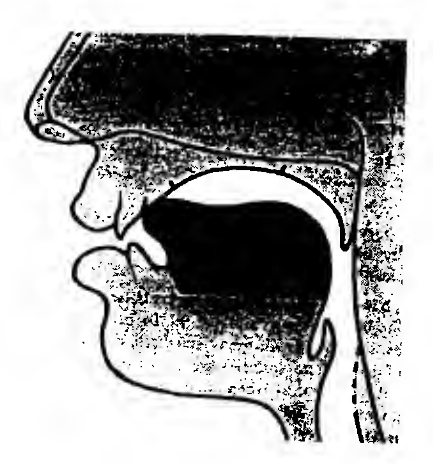
(١) الكتاب ٤/ ٤٣٤.

(٢) القرطبي: الموضح ص٩٠، والداني: التحديد ص١٠٨ وكلاهما مطبوعان في دار عمار/ الأردن.

فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان. وقد بُيِّنَ بحصر الصوت. ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها»[1].

وقول سيبويه: «ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً... ولخرجت الضاد من الكلام» مَبنيٌّ على الوصفِ القديم للطاء بأنها مجهورة، وعلى النطق القديم للضاد الذي ذكره سيبويه. أما النطق الفصيح اليوم لهذه الأصوات فيقتضي أن تصير الطاء تاءً، والضاد دالاً، إذا فقدتا الإطباق.

فصفة الإطباق إذن قد مَيَّزت أربعة أصوات هي الطاء والظاء والصاد والضاد عن مُقابلاتِها المُنفتحة، وهي التاء والذال والسين والدال، فالطاء أخت التاء، وإنما مَيَّز بينهما وجود الإطباق في الطاء، وعدم وجوده في التاء، فالطاء في الواقع تاء مُطْبَقةٌ. وهكذا العلاقة بين الظاء والذال، والصاد والسين، والضاد والدال.



صورة شكل اللسان في حالة الإطباق

☆ ☆ ☆

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٦.

وهناك صفتان يذكرهما بعض العلماء في الصفات المميّزة، وهما الذلاقة والإصمات، وأصوات الذلاقة ستة: اللام والراء والنون والفاء والباء والميم، وسُمِّيَتْ بذلك لأن عملها في طرف اللسان، وطرف كل شيء ذلقه، وهي أخف الحروف، وغيرها الأصوات المصمتة، سُمِّيَتْ بذلك لأنها أُصْمِتَتْ أن تختصَّ ببناء الكلمة إذا كثرت حروفها، وليست لهاتين الصفتين دلالة صوتية بيِّنة، ومن ثَمَّ أوجزنا الكلام فيهما[1].

ولعلماء العربية وعلماء التجويد كلام عن صفات أخرى للأصوات، مثل الخفاء والظهور، والقوة والضعف، لا ضرورة للدخول في تفصيلها هنا[2].

ثانياً: الصفاتُ المُحَسِّنَةُ:

١- القلقلةُ:

يتميز إنتاج الصوت الشديد (الانفجاري) بحبس النَّفَس في مخرج الصوت لحظة، ثم إطلاقه فجأة على نحو سريع، فيؤدي ذلك إلى سماع نبرة أو صُوَيْتٍ يتبع الصوت الشديد، وهو في الوقف أظهر منه في درج الكلام، وذلك في خمسة أصوات هي: القاف والجيم والطاء والدال والباء، وقد جمعها بعض المتقدمين في قوله: (قطب جد)، وغير ذلك، وتسمى هذه الأصوات بأصوات القلقلة[3].

ولا بد أن تأتي الأصوات الخمسة ساكنة حتى يظهرَ فيها صوتُ القلقلة، سواء أَوقعتْ في وسط الكلمة أم وُقِفَ عليها متطرفة، وهي في الوقف أظهر منها في الوصل، وذلك مثل[4]:

---

(١) ينظر التفصيل في كتابنا: الدراسات الصوتية ص٢٤٥.

(٢) ينظر المصدر نفسه ص٢٧٨ وما بعدها.

(٣) ينظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ١٧٤، ومكي: الرعاية ص١٠٠، والداني: التحديد ص١١١.

(٤) ينظر: ابن الجزري: النشر ١/ ٢٠٣.

الباء في ﴿لَمۡ يَتُبۡ ﴾ [الحجرات]، و﴿ٱلۡأَبۡوَٰبَ ﴾ [يوسف].

والجيم في ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ ﴾ [النساء]، و﴿ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ [البلد].

والقاف في ﴿خَلَقۡنَآ ﴾ [الأعراف]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ﴾ [النساء].

والطاء في ﴿وَلَا تُشۡطِطۡ ﴾ [ص]، و﴿أَطۡوَارًا ﴾ [نوح].

وإذا كان صوت القلقلة في آخر الكلمة ووقف عليه كانت القلقلة شديدة، وسميت قلقلة كبرى، وإذا كان ساكناً في وسط الكلمة كانت أخف، وسميت صغرى[١]، وينبغي لزوم الحذر من المبالغة في إظهار صوت القلقلة، إذ يجب أن يكون إخراجها سهلاً، لا يصل إلى أن يكون مثل الحركة.

٢- الغُنَّةُ:

الغُنَّةُ صوت يخرج من الخيشوم[٢]. وهي صفة لازمة للنون والميم تحركتا أو سكنتا، ظاهرتين أو مُخْفاتين أو مدغمتين، وهي في الساكن أكمل من المتحرك[٣]. لأن الحركةَ تجذبُ آلة النطق فلا تدع النَّفَس يجري في الخيشوم إلا أقل وقت ممكن.

واشترط بعض علماء العربية والتجويد لظهور الغنة في النون والميم أن يكونا ساكنين، فإذا لحقتهما الحركةُ زالت الغنةُ عنهما[٤]. والصواب أن الغنة لا تَنفكُّ عنهما، لكنها في الساكن أظهر وأبين من المتحرك.

٣- الصَّفِير:

أصوات الصفير ثلاثة: السين والصاد والزاي، سميت بذلك لما يصحبها من

---

(١) ينظر: فرج توفيق الوليد: قواعد التلاوة ص٤٠.

(٢) مكي: الكشف ١/ ١٦٤، والمرعشي: جهد المقل ص١٦٣.

(٣) أحمد بن الجزري: الحواشي المفهمة ٤٧ظ.

(٤) ابن يعيش: المفصل ١٠/ ١٢٧، والسمرقندي: روح المريد ص٨٤.

صفير أو أزيز[1]. والصفير صفة ذاتية في هذه الأصوات لا تنفك عنها، كالغنة في النون والميم.

٤- التكرير:

التكرير، ويقال له التكرار. هو ارتعاد طرف اللسان بالراء، فالراء صوت مكرر لأن نطقه يقتضي تتابع عدة ضربات لطرف اللسان على اللثة، وسكون الراء أو الوقف عليها يزيدها إيضاحاً[2]. وقد حذر علماء التجويد من المبالغة في تكرير الراء. كما حذروا من المبالغة في إخفاء تكريرها[3].

٥- التفشي:

التفشي كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك[4]. وهو صفة للشين خاصة[5]. وألحق بعض العلماء الفاء والثاء والضاد بالشين في هذه الصفة، ولكن التفشي في الشين أظهر[6].

٦- الانحراف:

وصف سيبويه اللام بأنه صوت منحرف، وعلل وصف اللام بالانحراف بأن الصوت لا يخرج من موضع اللسان على اللثة، ولكنه يجري من جانبي مستدق اللسان[7]. وقد وصف بعض المحدثين اللام بأنه صوت جانبي، يريد

---

(١) المبرد: المقتضب ١/١٩٣، ومكي: الرعاية ص١٠٠، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص٩٨.

(٢) سيبويه: الكتاب ٤/١٣٦ و٤٣٥، ومكي: الرعاية ص١٧٠.

(٣) ينظر: ابن الجزري: النشر ١/٢١٨.

(٤) مكي: الرعاية ص١٠٩.

(٥) سيبويه: الكتاب ٤/٤٤٨.

(٦) المرعشي: جهد المقل ص١٥٨.

(٧) الكتاب ٤/٤٣٥.

أنه منحرف[1].

٧- الاستعلاء:

الاستعلاء هو أن يستعلي أقصى اللسان عند النطق بالصوت إلى جهة الحنك الأعلى[2]. ويُستخدم مصطلح الاستفال مقابلاً له. وقد ذكر الداني الأصوات المستعلية فقال: «والمستعلية سبعة أحرف، يجمعها قولك: (ضغط خص قظ)، الخاء والغين والقاف والصاد والضاد والطاء والظاء، سميت مستعلية لأن اللسان يعلو بها إلى جهة الحنك، ولذلك تمنع الإمالة، إلا أنها على ضربين: منها ما يعلو اللسان به وينطبق، وهي حروف الإطباق الأربعة، ومنها ما يعلو ولا ينطبق، وهي ثلاثة: الغين والخاء والقاف، والمستفلة ما عدا هذه المستعلية، سميت مستفلة لأن اللسان لا يعلو بها إلى جهة الحنك»[3].

وهناك فرق بين صفة الإطباق وصفة الاستعلاء، هو أن الأولى من الصفات المميزة وأن الثانية من الصفات المحسنة. ومع ذلك فهناك تشابه في تصعد أقصى اللسان نحو الحنك في الصفتين، لكنه ينطبق مع الإطباق دون الاستعلاء. وقديماً قال عبد الوهاب القرطبي: «إن التفخيم والإطباق والاستعلاء من وادٍ واحد»[4].

٨- اللِّين:

وهو جريان النَّفَس في مخرجِّ الصوت أكثر من جريانه في الأصوات الرخوة، لكنه لا يبلغ درجة جريان النَّفَس في الأصوات الذائبة، فالياء في (بَيْت) والواو في (حَوْض) أصوات لين، أما الياء في مثل (أَرْمِي) والواو في مثل (أَدْعُو)

(١) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٨٥، وكمال محمد بشر: الأصوات ص١٦٦.
(٢) المرعشي: جهد المقل ص١٥١.
(٣) التحديد ص١٠٨.
(٤) الموضح ص١٧٩.

فإنها أصوات ذائبة لجريان النَّفَس فيها أكثر من جريانه في أصوات اللين، وقد سماها علماء العربية والتجويد بأصوات اللين والمد، وسوف نوضح شيئاً مما يتعلق بهذه الأصوات في مبحث الأصوات الذائبة إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث

وصف الأصوات العربية الجامدة

إن تحديد مخرج الصوت واحد من جملة أمور تعطي الصوت جرسه المتميز، ولا بد من ذكر الكيفيات المصاحبة لتكوُّن الصوت في مخرجه إذا أردنا أن نحدد خصائصه ونقدِّمَ وصفاً كاملاً له. وسبق أن تحدثنا عن مخارج الأصوات العربية الجامدة وصفاتها حديثاً مُجَزَّءاً، ونحاول هنا أن نضم أطرافه حتى نقف على خصائص كل صوت على نحو متكامل، وذلك من خلال تحديد مخرج الصوت، وكيفية مرور النفس في المخرج، وحالة الوترين في أثناء النطق بالصوت، مع الإشارة إلى بعض الصفات التي تُميَّز بها بعض الأصوات.

أولاً: أصوات الحلق:

١- الهمزة والهاء:

الهمزة صوت مخرجه أقصى الحلق (الحنجرة)، شديد (انفجاري) مهموس، على رأي بعض المحدثين، أو هو لا مجهور، ولا مهموس، على رأي بعضهم الآخر، على نحو ما ذكرنا من قبل(١).

والهاء صوت مخرجه من أقصى الحلق أيضاً (الحنجرة)، رخو (احتكاكي) مهموس.

٢- العين والحاء:

مخرجهما من وسط الحلق، وهما رخوان(٢)، والعين مجهور، والحاء

---

(١) وقد أشرنا إلى أن الهمزة عند المتقدمين صوت مجهور.

(٢) وصف سيبويه العين بأنها بين الرخوة والشديدة (الكتاب ٤/ ٤٣٥) وهي متوسطة عند =

مهموس. ولا فرق بينهما إلا الجهر الذي في العين، والهمس الذي في الحاء، فلولا الجهر لكانت العين حاءً.

٣- الغين والخاء:

مخرجهما من أدنى الحلق إلى الفم، وهما رخوان، والغين مجهور، والخاء مهموس، وهما صوتان مستعليان.

ثانياً: أصوات أقصى اللسان:

١- القاف:

مخرجه من أقصى اللسان بينه وبين ما يقابله من أقصى الحنك الأعلى، وهو شديد، مهموس[١]. وهو صوت مستعلٍ.

٢- الكاف:

مخرجه من أقصى اللسان، بينه وبين ما يقابله من أقصى الحنك الأعلى، إلى الأمام من مخرج القاف، باتجاه طرف اللسان، وهو شديد مهموس.

ثالثاً: أصوات وسط اللسان:

١- الياء:

مخرجه من وسط اللسان بينه وبين ما يقابله من وسط الحنك الأعلى، وهو صوت لَيِّنٌ مجهور. وينطبق هذا الوصف على الياء في مثل (بَيْت) و(يَوْم). وسوف نعود إلى الإشارة إلى الياء في أثناء الكلام عن الأصوات الذائبة، إن شاء الله تعالى، وهناك اختلاف في عَدِّ الياء صوتاً رخواً.

= المتقدمين، بناء على عبارة سيبويه. وقد وصفتها بأنها رخوة لعدم ظهور أمر توسطها، ولأن أختها الحاء صوت رخو لا اختلاف في ذلك، ويمكن الاطلاع على تفصيلات الموضوع في كتابنا: الدراسات الصوتية ص٢٦٤-٢٦٥.

(١) ذكرنا من قبل أن علماء العربية والتجويد المتقدمين وصفوا القاف بأنه صوت مجهور، وهو وصف موضع نظر لدى المحدثين.

٢- الجيم:

مخرجه من وسط اللسان، بينه وبين ما يقابله من وسط الحنك الأعلى، وهو شديد مجهور، وقد عدَّه بعض المحدثين صوتاً مركباً، استناداً إلى أن الانفجار الذي يعقب حبس النَّفَس تشوبه شائبة من الرخاوة، وهو أمر ليس واضحاً بدرجة تخرجه عن كونه صوتاً شديداً[١].

٣- الشين:

مخرجه من وسط اللسان بينه وبين ما يقابله من وسط الحنك الأعلى، وهو رخوٌ مهموسٌ مُتَفَشٍّ.

رابعاً: أصوات طرف اللسان:

إن الأصوات التي يشترك طرف اللسان في تكوّنها كثيرة، وهي تشكل أكبر مجموعة في أصوات العربية، وهي متنوعة تنوعاً يعتمد على النقطة التي يستند إليها طرف اللسان من الحنك الأعلى واللثة والأسنان، وعلى النقطة التي تشترك في عملية النطق من طرف اللسان، فقد تشترك نهاية طرفه، وقد تشترك نقطة أدخل باتجاه ظهره. وكذلك تتنوع تلك الأصوات بتنوع كيفية مرور الهواء في مخرج الصوت، يمكن أن تصنفها إلى أربع مجموعات:

١- اللام والراء والنون:

أ- اللام: يعتمد طرف اللسان على لِثَة الثنايا العليا، ويخرج النَّفَس من حافتي اللسان (من جانبيه) وطرف اللسان ملازم لموضعه من اللثة وهو منحرف أو جانبي لذلك، ومنْ ثَمَّ سُمِّيَ متوسطاً، وهو صوت مجهور.

ب- الراء: مخرجه بين طرف اللسان وما يحاذيه من أصول الثنايا (اللثة)، وهو متوسط، لأن طرف اللسان لا يحصر النَّفَس كما في الأصوات الشديدة، بل يتردد طرف اللسان عدة مرات على نحو سريع، يحصر النفس ويطلقه في

---

(١) راجع كتابنا: الدراسات الصوتية ص٢٨١-٢٨٦.

كل مرة. ولذلك سمي الراء مكرراً، وهو صوت مجهور.

جـ- النون: يتميز هذا الصوت بأن له معتمداً للسان ومجرىً للنَّفَس، فطرف اللسان يعتمد على أصول الثنايا (اللثة)، ويجري النَّفَس في أثناء ذلك من الخيشوم، فالنون صوت متوسط، وهو مجهور، أَغَنُّ، والغنة صفة ملازمة له، وهي جريان النَّفَس من الأنف.

٢- التاء والدال والطاء والضاد:

تشترك هذه الأصوات الأربعة في مخرج واحد وهو طرف اللسان بينه وبين أصول الثنايا العليا، وهي جميعاً أصوات شديدة، وقد مَيَّزَ بينها صفتا الجهر والهمس، وصفتا الإطباق والانفتاح.

فالتاء صوت مهموس منفتح، والدال صوت مجهور منفتح، ويقابلهما الطاء وهو صوت مهموس مطبق، والضاد وهو صوت مجهور مطبق. فلولا الإطباق لصارت الطاء تاء والضاد دالاً، والطاء والضاد مستعليان، وهذا الوصف ينطبق على نطق الطاء في وقتنا ونطق الضاد أيضاً، في قراءة قُرَّاء القرآن المُجَوِّدين.

أما الطاء القديمة فقد وصفها علماء العربية والتجويد المتقدمون بأنها صوت مجهور، وأما الضاد القديمة فإنهم وصفوها على نحو ما ذكرناه من قبل، وهو أمر لا يتحقق اليوم في نطق الناطقين بالعربية.

٣- السين والزاي والصاد:

مخرج الأصوات الثلاثة واحد، وهو طرف اللسان بينه وبين صفحة الثنيتين العليين الداخلية، وهي أصوات رخوة، صفيرية، مَيَّزَ بينها أن السين مهموس، والزاي مجهور، والصاد مهموس مطبق، وهو يوصف بالاستعلاء لذلك. فلولا الجهر لكانت الزاي سيناً، ولولا الإطباق لكانت الصاد سيناً.

٤- الثاء والذال والظاء:

مخرج الأصوات الثلاثة واحد، وهو بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، وهي

رخوة مَيَّزَ بينها أن الثاء مهموس والذال مجهور، والظاء مجهور مطبق، وهو مُستعلٍ لذلك.

خامساً: الأصوات الشفوية:

١- الفاء:

مخرجه من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، فهي أسنانية شفوية وهي صوت رخو مهموس.

٢- الباء والميم والواو:

مخرجها من الشفتين، ولكن صفاتها متباينة:

أ- الباء، صوت شديد مجهور.

ب- الميم، صوت أَغَنُّ مجهور، فهو مثل النون، له معتمدٌ ومجرى، فالشفتان تنطبقان في نطقه، لكن النَّفس يجري من الأنف، وهو يوصف بأنه متوسط لذلك.

جـ- الواو صوت لَيِّنٌ مجهور، وهو في مثل (حَوْض) و(وَلد)، والشفتان تستديران في نطقه من غير أن تسدَّا مجرى النَّفَس.

المبحث الرابع
الأصوات العربية الذائبة

تتميز مجموعة الأصوات الذائبة في اللغة العربية بقلة عددها ووضوح أنواعها، فعلى الرغم من إمكانية آلة النطق إنتاج عدد كبير منها، فإن العربية الفصحى لم تستخدم إلا ثلاثة أصوات ذائبة، وتكون ستة إذا أخذنا الطول والقصر في الحسبان. وقد عرفتَ من قبلُ أن الأصوات الذائبة تتميز عن غيرها في النَّفَس يجري بطلاقة في مخارجها ولا يتعرض إلاَّ إلى أدنى تضييق. وقد مَيَّزَ بين أنواعها اختلافٌ يسير في الشكل الذي تكون عليه آلة النطق مع كلٍّ منها، واختلاف طول الزمن الذي يستغرقه نطقها. وإليك بيان ما يوضح لك ذلك:

أولاً: عدد الأصوات الذائبة في العربية:

تتألف مجموعة الأصوات الذائبة في اللغة العربية من ثلاثة أصوات من حيث النوع، وستة من حيث الكمية، وهي الفتحة والكسرة والضمة، وكل واحدة منها تكون قصيرة فتسمى حركة، وتكون طويلة فتسمى حرف مد (أو صوت مد).

ورأي جمهور علماء العربية والتجويد أن الحركات هي أبعاض أصوات المد، فالفتحة من الألف، والكسرة من ياء المد، والضمة من واو المد، وأن الفتحة إذا أُشبعت صارت ألفاً والكسرة إذا مِطِلَت عادت ياءً، والواو إذا مدت أضحت واواً[1]. فإذا قلت (ضَرَب) وأطلتَ الفتحة بعد الضاد صارت ألفاً،

---

(١) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٢٤٢، والمبرد: المقتضب ١/ ٥٦، وابن جني: سر صناعة الإعراب ١/ ١٩، والداني: التحديد ص١٠٩، والقرطبي: الموضح ص٧٢، وابن الجزري: النشر ٢/ ٢٠٤.

فتقول (ضَارَبَ)، وكذلك (ضُرِبَ) إذا أطلت الضمة بعد الضاد صارت واواً، فتقول (ضُورِب)، وكذا الكسرة في مثل (بِع) إذا أطيلت صارت ياء، فتقول (بِيع).

ويقرر علماء التجويد أن الفتحة تساوي نصف الألف، والضمة نصف واو المد، والكسرة نصف ياء المد، وقالوا: الألف مركب من فتحتين، وواو المد من ضمتين، وياء المد من كسرتين، أي أن نطق الحركة يستغرق نصف الزمن الذي يستغرقه نُطقُ صوتِ المد[١].

ويلزم التفريق بين الياء في (بَيْع) والياء في (أَبِيع)، والواو في (قَوْل) والواو في (أقُول). فهي، وإن كانت ترسم برموز واحدة، فهي مختلفة من ناحية النطق بعض اختلاف. وقد اصطلح علماء العربية والتجويد على تسميتها حروف لين في مثل (بَيْع) و(قَوْل) وحروف مد في مثل (أبِيع) و(أقُول) فالياء والواو إذا كانتا مسبوقتين بحركة ليست من جنسهما أو كانتا متبوعتين بحركة فهما من الأصوات الجامدة، وذلك لِتَحَيُّزِ مخرجهما، وإذا كانتا مسبوقتين بحركة من جنسهما فإنهما حينئذ من الأصوات الذائبة وذلك لاتساع مخرجهما وامتداد الصوت بهما[٢].

وقد اعتاد الناس على وضع فتحة قبل الألف في مثل (كَان) وضمة قبل واو المد في مثل (يَكُون) وكسرة قبل ياء المد في مثل (أبِيع)، وحين تتأمل نطق هذه الكلمات وما أشبهها لا تجد هذه الحركات متميزة عن أصوات المد بعدها، وإذا دققت تجد أنه ليس بين الكاف والنون في (كان) سوى مدة متصلة هي الألف وهي في الواقع فتحة طويلة. وكذلك الأمر في بقية الكلمات، فالكتابة لا تعبر دائماً بشكل دقيق عن الظواهر الصوتية، كما عرفت من قبل، وعليك التنبه لذلك فإنه أمر مهم في دراسة الأصوات.

---

(١) علي القاري: المنح الفكرية ص٥٠، والقسطلاني: لطائف الإشارات ١/١٧٨.

(٢) ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب ١/٢٢، والداني: التحديد ص١٣٤، وإبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٤٢، وكمال محمد بشر: الأصوات ص١٧٣.

ثانياً: مخارج الأصوات الذائبة في العربية:

تتميز الأصوات الذائبة باتساع مخارجها وجريان النَّفَس من غير أن يعترضه عائق محدد عند النطق بها، وقديماً جعل بعض علماء العربية وعلماء التجويد مخارج هذه الأصوات من الجوف، وهو الخلاء داخل الفم والحلق[1]. ومع اشتراكها في صفة اتساع المخرج فإن كل صوت منها يتميز عن غيره بوضع آلة النطق، واختلاف وضع آلة النطق هو الذي مَيَّزَ جروسها في السمع، مع العلم بأن هذه الأصوات مجهورة.

وتتحدد مخارج الأصوات الذائبة بالنظر إلى وضع اللسان مع ملاحظة الشكل الذي تتخذه الشفتان في أثناء النطق بالصوت. فهذه الأصوات تصنف بالنظر إلى[2]:

١- الجزء الذي يرتفع من اللسان، مقدمه أو وسطه أو مؤخره.

٢- مقدار ارتفاع اللسان، فإذا كان ارتفاعه كبيراً ضاق الفراغ بينه وبين سقف الفم (الحنك الأعلى) وكان الصوت ضيقاً، وإذا قلَّ ارتفاعه اتسع الفراغ وكان الصوت مفتوحاً أو واسعاً.

٣- شكل الشفتين في أثناء النطق بالصوت.

واستناداً إلى ذلك يمكن أن توصف الأصوات الذائبة في العربية على هذا النحو[3].

١- الكسرة وياء المد: أصوات أمامية ضيقة، والكسرة قصيرة وياء المد

---

(١) ينظر: الخليل بن أحمد: العين ١/ ٥٧، وابن الجزري: النشر ١/ ١٩٩، وعلي القاري: المنح الفكرية ص١١، والمرعشي: جهد المقل ص١٣٦.

(٢) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٣١، ومحمود السعران: علم اللغة ص٢٠٠، وكمال محمد بشر: الأصوات ص١٨٥، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص١٣١.

(٣) محمود السعران: علم اللغة ص٢٠١، وكمال محمد بشر: الأصوات ص١٩٦.

طويل، وتكون الشفتان معهما منفرجتين.

٢- الضمة وواو المد: أصوات خلفية ضيقة، والضمة قصيرة وواو المد طويل، وتكون الشفتان معهما مضمومتين.

٣- الفتحة وألف المد: أصوات أمامية واسعة أو مفتوحة، والفتحة قصيرة، وألف المد طويل. وتكون الشفتان معهما مفتوحتين.

وتتميز الفتحة وألف المد بأنهما تتأثران بمجاورة الأصوات المستعلية، فتتجهان إلى وسط اللسان أو مؤخره. فالألف في (باع) أمامية بينما هي في (صام، وقام) خلفية.

وينبغي أن تتنبه إلى أن الفرق بين ياء المد في (نستعين) والياء في (إيَّاك) مثلاً هو أن الفراغ بين سطح اللسان وسقف الحنك واسع في (نستعين)، وضيق في (إيَّاك)، ومن ثم كانت ياء المد من الأصوات الذائبة لأن مجرى الهواء معها مفتوح، وكانت الياء من الأصوات الجامدة لأن مجرى الهواء في مخرجها يكون أكثر ضيقاً منه في ياء المد.

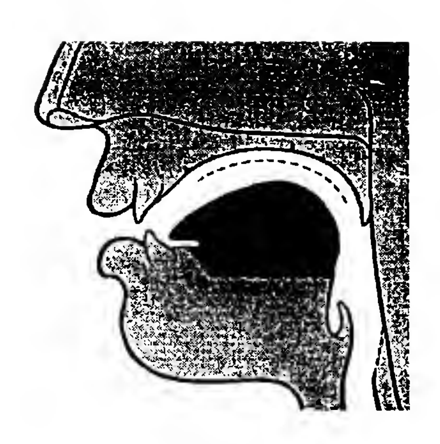
وكذلك الفرق بين واو المد في (ينفقون) والواو في (القَوْم)[١].

وهناك صوت ذائب متفرع عن الفتحة وألف المد، هو ألف الإمالة في مثل ﴿مَجْرٜىٰهَا ﴿٤١﴾﴾ [هود] في رواية حفص عن عاصم، فإنه ينطق بها بين ياء المد وألف المد، وليس له إمالة في القرآن غيرها[٢].

---

(١) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٤٢.

(٢) ينظر: الداني: التيسير ص٤٨، والمرعشي: جهد المقل ص٢٣٧، والحنبلي: فيض الودود ص٧ و٣٠. والإمالة هي أن تَنْحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء.



الخط المتقطع يوضح الحد الذي يمكن أن يبلغه اللسان في صعوده في حالة نطق الأصوات الذائبة



١- حالة الشفتين عند نطق الفتحة ٢- حالة الشفتين عند نطق الكسرة ٣- حالة الشفتين عند نطق الضمة

الفصل الرابع
الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب

إن الأصوات اللغوية تتعرض في الكلام المنطوق إلى تغيرات في بعض صفاتها، بسبب التأثر بالأصوات المجاورة، لأن المجاورة لها تأثير[1]. وكان علماء التجويد قد أَوْلَوْا هذا الموضوع عناية كبيرة، وكانت دراستهم لمخارج الأصوات وصفاتها لغرض توضيح ما يلحق كل صوت من تغيير في الكلام المنطوق.

قال أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ): «والحروف المهموسة إذا لَقِيَتِ الحروفَ المجهورةَ، والحروفُ المجهورةُ إذا لَقِيَتِ الحروفَ المهموسةَ فيلزمُ تَعَمُّلُ تلخيصها وبيانها، لئلا ينقلب المهموسُ إلى لفظ المجهور، والمجهورُ إلى لفظ المهموس، فتختل بذلك ألفاظ التلاوة وتتغير معانيها»[2].

وقال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ): «فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته مُوَفٍّ حَقَّهُ فَلْيُعْمِلْ نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد، وذلك ظاهر، فكم ممن يُحْسِنُ الحروفَ مفردةً ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانسٍ ومُقارب، وقويٍّ وضعيف، ومُفَخَّمٍ ومرقّق، فيجذب القويُّ الضعيفَ، ويغلبُ المفخمُ المرققَ، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حَصَّلَ حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب»[3].

---

(١) عبد الدائم الأزهري: الطرازات المُعْلَمة ٢٧و، طبع في دار عمار - الأردن، بتحقيق نزار خورشيد. وانظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٧٩.

(٢) التحديد ص١٣٣.

(٣) النشر ١/ ٢١٤-٢١٥.

ولعل في الوقوف عند آية كريمة من القرآن ما يوضح لكَ صحة قول علماء التجويد في أهمية معرفة الظواهر الصوتية التي تنشأ عن التركيب، وضرورة المقدرة على أدائها في التطبيق، قال الله تعالى:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة].

إن هذه الآية قد تضمنت عدداً كبيراً من التغييرات الصوتية الناشئة عن ائتلاف الأصوات في كلمات، وائتلاف الكلمات في جُمل، وهو ما سماه علماء التجويد بالتركيب. وهذا بيان موجز لتلك الظواهر:

١- زيادة مدة الألف في (لا)، لوقوع الهمزة بعده، وهي وإن كانت من كلمة أخرى لكن النطق المتصل يجعل نطقها معقباً لنطق الألف مباشرة فيحصل التأثر، على نحو ما سنوضح ذلك في المباحث اللاحقة.

٢- تقصير مدة ياء (في) فإن نطقها يكون (فِ)، وذلك لالتقاء الساكنين بحسب عبارة علماء التجويد.

٣- سقوط همزة الوصل من كلمة (الدين) لوقوعها في درج الكلام، وهناك أمثلة أخرى في الآية تسقط منها همزة الوصل عند النطق بكلمات الآية متصلة.

٤- إبدال لام المعرفة في كلمة (الدين) دالاً، وإدغامها في الدال، وراءً في (الرشد)، وطاء في (بالطاغوت).

٥- إبدال دال (قد) تاء وإدغامها في تاء (تبين) فيصير النطق (قَتَّبَيَّنَ).

٦- زيادة فتحة بعد نون (مِنْ) فصارت (مِنَ) وذلك لالتقاء الساكنين.

٧- إدغام نون (فَمَنْ) بياء (يكفرْ) بغنة.

٨- قلب نون (يؤمِنْ) ميماً لالتقائها بالباء.

٩- زيادة كسرة بعد دال (فَقَدْ) فصارت (فَقَدِ) وذلك لالتقاء الساكنين.

١٠- تقصير مدة ألف (لا) فصارت في النطق (لَ).

١١- سقوط همزة الوصل من (انفصام)، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، فصار نطق الكلمة مع (لا) قبلها هكذا (لَنْفِصَامَ).

١٢- إخفاء النون الساكنة في كلمة (انْفِصام) في الفاء بعدها.

هذه هي الظواهر الصوتية البارزة التي نشأت بسبب التركيب وأدت إلى تغير بعض صفات الأصوات في الآية الكريمة، ولم ننقل هذه الآية لأنها تميزت بكثرة الظواهر الصوتية فيها، فغيرها من الآيات لا يقل عنها في ذلك، فتأثر الأصوات بالمجاورة أمر لا تكاد تخلو منه جملة عربية، ولا بد من معرفة تلك الظواهر وضبطها والقدرة على أدائها حتى يكون نطقنا عربياً خالصاً وتكون تلاوتنا للقرآن مُرَتَّلَةً مُجَوَّدةً.

وإذا تأملنا الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب في الآية الكريمة أمكننا أن نميز بين نوعين منها، نوع يختص بالأصوات الجامدة مثل إبدال دال (قد) تاء، وإبدال لام المعرفة في (الدين والرشد والطاغوت)، وتأثر النون في (فمنْ ويؤمن وانفصام). ونوع يختص بالأصوات الذائبة مثل زيادة المد في ألف (لا إكراه)، وتقصير مدة ياء (في) ومدة ألف (لا). وزيادة (فتحة) على (مِنَ) وكسرة على (فقد).

ولا شك في أن الوقوف عند آيات أخرى من الكتاب العزيز وتحليل نطقها سوف يقدم ظواهر صوتية جديدة لم ترد في الآية السابقة، لكنها لن تخرج عن كونها ظواهر تختص بالأصوات الجامدة أو ظواهر تختص بالأصوات الذائبة. واستناداً إلى ذلك سوف نتبع في دراسة الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب خطة تعتمد على تقسيمها إلى ظواهر تختص بالأصوات الجامدة، وظواهر تختص بالأصوات الذائبة. فهذه هي الخطة المثلى في حصر تلك الظواهر ودراستها وتقديم تعليل صوتي لها، وهي خطة لا تخرج عما سلكه علماء

التجويد المتقدمون، وما ذهب إليه دارسو الأصوات اللغوية المحدثون. ثم نردف ذلك ببيان مواضع القطع وكيفيات الوقف، إذ لذلك ارتباط وثيق بتجويد القراءة وتفهم معاني الآيات الكريمة.

المبحث الأول

الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب

الخاصة بالأصوات الجامدة

تتأثر الأصوات الجامدة حين تتجاور في التركيب، ولا بد أن يلتقي الصوتان التقاءً مباشراً لا تحول بينهما حركة، لأن الحركة تمنع حصول التأثر بينهما. فالنون في كلمة (لَنَفِدَ) متحركة وفي كلمة (تَنْفَدَ) ساكنة في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف]، ومن ثَمَّ فإن الحركة حالت دون حصول التأثر في الكلمة الأولى، بينما اتصلت النون بالفاء في الكلمة الثانية فتأثرت بها وحصل لها ما يسميه علماء التجويد بالإخفاء، وكذلك لولا حركة الدال الأولى في كلمة (مَدَداً) لاندغم الصوتان وارتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة ولصارت الكلمة (مَدّاً).

وهناك عاملان أثَّرَا في العلاقة بين الأصوات، وتحكما في حصول التأثر بينها وهما[1]:

العامل الأول: إن التأثر يكثر في أصوات الفم وطرف اللسان خاصة ويقلُّ في أصوات الحلق وأصوات الشفتين، إلى جانب أهمية قرب المخرج بين الأصوات لحصول التأثر. قال الداني: «واعلم أن أصل الإدغام إنما هو حروف الفم واللسان لكثرتهما في الكلام وقرب تناولها، ويضعف في حروف الحلق وحروف الشفتين لقلتها وبُعْدِ تناولها»[2]. وقال مكي: «يجب أن تَعْلَمَ أن حروف الحلق لا يدغمن في حروف الفم ولا في حروف الشفتين، وقد تدغم بعض حروف

(١) ينظر: كتابنا: الدراسات الصوتية ص٤٥٨-٤٦٠.

(٢) الإدغام الكبير ص٤١.

الحلق في بعض لتقارب المخارج، وتَعْلم أن حروف الفم لا تدغم في حروف الحلق ولا في حروف الشفتين... وتَعْلَم أن حروف الشفتين لا تدغم في حروف الحلق ولا في حروف الفم لبعد ما بينهن في المخرج»[1].

والقرب والبعد في مخارج الأصوات يفسر لنا عدم تأثر النون الساكنة بأصوات الحلق الستة، فتكون مظهرة قبلها، وكذلك يفسر لنا عدم إدغام (أل) التعريف في أصوات الحلق وأقصى اللسان والشفتين لبعد مخرجها منها. كما سنوضح ذلك فيما بعد إن شاء الله.

العامل الثاني: إن كل صوت فيه صفة خاصة به لا يدغم في غيره إذا أدى ذلك إلى ذهاب تلك الصفة، قال ابن الباذش: «والمزايا التي لا تذهب للإدغام خمس، وهي: الاستطالة والتفشي والتكرير والصفير والغنة»[2].

وقد قال الداني في بيان علة ذلك: «وكلما تقاربت المخارج وتدانت كان الإدغام أقوى، وما تكافأ في المنزلة من المتقاربين فإدغامه جائز، لأنه لا يعرض له ما يمنعه من الإدغام، وما تفاضل من ذلك في المنزلة بزيادة الصوت فإدغامه ممتنع لما يدخله من الاختلال بذهاب صوته بالإدغام، فلا يُدْغَمُ الأفضل في الأنقص لذلك، ويدغم الأنقص في الأفضل لأنه يخرج بذلك إلى الحرف الأقوى، وإخراج الأضعف إلى الأقوى جائز لأنه يقوى فيه.

وجملة الحروف التي تمتنع من الإدغام لزيادة صوتها ثمانية أحرف، وقد جمعتها في قولك (فزم ضرس شص): الشين والضاد والراء والصاد والسين والزاي والميم والفاء. أما الشين فمن أجل تفشيها، وأما الضاد فلاستطالتها[3]، وأما الراء فلتكريرها، وأما الصاد والسين والزاي فلصفيرهن، وأما الميم

---

(١) الكشف ١/ ١٤٠.

(٢) الإقناع ١/ ١٨٨.

(٣) الاستطالة هي: (امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها) (انظر: المرعشي: جهد المقل ص١٥٩) وهي صفة للضاد القديمة (انظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٥٧).

فلغنتها، وأما الفاء فلتفشيها»[1].

ونكتفي هنا بمثال واحد لتوضيح أثر تميز الصوت بصفة معينة على حصول التأثر بينه وبين غيره من الأصوات، فالراء يتميز بأنه صوت مكرر، والتكرير صفة امتاز بها عن غيره، ومن ثم فإن الراء لا يدغمُ في ما قاربه من الأصوات، بينما يدغم فيه ما قاربه. فاللام تدغم فيه في مثل قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه]، فيصير النطق (قُرْ رَبِّ)، وكذلك في قوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء] يكون النطق: (بَرْرَفَعَهُ)، ولكن الراء لا تدغم في اللام لأن ذلك يؤدي إلى ذهاب صفة التكرير، فيجب المحافظة على نطق الراء في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف]، حتى لا تندغم في اللام ويصير النطق: (تَغْفِلْ لنا).

وإذا التقى صوتان جامدان متقاربان، وكان الأول ساكناً، فإن الغالب في النطق العربي هو أن يؤثر الثاني في الأول، قال عبد الوهاب القرطبي: «ثم الإدغام في المتقاربين، تارة يكون بقلب الأول إلى الثاني، وهو الأكثر الأشيع، كقولك: النَّعيم والسَّلام، وهو الأصل. وتارة يكون بقلب الثاني إلى الأول نحو (مُذَّكِر) في لغة من أبدل تاء (افتعل) ذالاً معجمة وأدغمها في الذال الأصلية، وتارة يكون بأن يُبدل بحرفٍ مناسب لهما ثم يدغم، وذلك نحو (مُدَّكر) بدال غير معجمة»[2].

وسوف نتناول موضوع التأثر بين الأصوات الجامدة في النقاط الآتية:

١- التأثر بين الأصوات المتماثلة، وكيفية النطق بالصوت المشدد.

---

(١) الإدغام الكبير ص٤٢.

(٢) الموضح ص١٣٩، وانظر: عبد الصبور شاهين: علم الأصوات ص١٤٥. وقد سمى بعض المحدثين هذه الأنواع الثلاثة من التأثر بالمقبل والمدبر والمتبادل، بينما سماها بعضهم بالتأثر الرجعي والتقدمي أو المماثلة الرجعية والمماثلة التقدمية، انظر: كتابنا: الدراسات الصوتية ص٣٩٤.

٢- التأثر بين الأصوات المتجانسة والمتقاربة.

٣- تأثر النون الساكنة بغيرها من الأصوات الجامدة.

٤- الترقيق والتفخيم.

أولاً: التأثر بين الأصوات المتماثلة:

١- وجوب إدغام المتماثلين:

إذا التقى صوتان متماثلان، مثل الباء والباء، والتاء والتاء، وسكن أولهما فإنه يجب الإدغام عند أهل اللغة والقراء، وأهل الأداء، بلا خلاف[1]. سواء كان الصوتان من كلمة أم من كلمتين.

فمثال ما كانا فيه من كلمة:

الكاف والكاف في (يُدْرِكْكُمُ) من قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۝٧٨ ﴾ [النساء].

والهاء والهاء في (يُوَجِّهْهُ) من قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۝٧٦ ﴾ [النحل]، وفي (يكرههن) من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٣ ﴾ [النور].

ومثال ما كانا فيه من كلمتين:

التاء والتاء في قوله تعالى: ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ۝١٦ ﴾ [البقرة].

وفي قوله تعالى: ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ۝١٥ ﴾ [الأنبياء].

والباء والباء في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۝٦٠ ﴾ [البقرة].

---

(١) المرعشي: جهد المقل ص١٨٥.

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النمل].

والدال والدال في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ﴿٦١﴾ ﴾ [المائدة].

والذال والذال في قوله تعالى: ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء].

واللام واللام في أمثلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المائدة].

والميم والميم في قوله تعالى: ﴿ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأنبياء].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحج].

والنون والنون في قوله الله تعالى: ﴿ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ ﴾ [الحج].

والواو والواو في قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنفال].

وقوله: ﴿ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الرعد].

ولا بد أن يكون أول المتماثلين ساكناً حتى يحصل الإدغام، فإن كان متحركاً فإن الحركة تمنع الإدغام، وينطق كلا الصوتين نطقاً مستقلاً، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [يونس]، بينما نجد الإدغام واجباً إذا سكن أول المثلين في مثل قول الله تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [النساء]. ففي هذه الآية التقى اللام باللام في أربعة مواضع، يجب الإدغام فيها كلها لسكون الأول منها، وإن كان أصل اللام في موضعين منها النون الساكنة التي أُدغمت في لام فقُلبتْ لاماً.

٢- امتناع إدغام أصوات المد:

وينص علماء التجويد على أن المثلين إذا كان أولهما حرف مد، امتنع الإدغام حينئذ، فلا بد من توفية حرف المد حقه من التصويت، لأن الإدغام

يؤدي إلى اختلاله[1].

فمثال التقاء الواوين، والأول حرف مد قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الرعد].

﴿ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الشعراء].

ومثال التقاء الياءين والأول منهما حرف مد قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [يوسف].

﴿ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [إبراهيم].

﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ ﴾ [الماعون].

فيجب في هذه الآيات وما أشبهها المحافظة على نطق حرف المد، وذلك بإشباع واو المد ويائه، والنطق بالواو والياء المفتوحتين بعدهما نطقاً خفيفاً[2].

والتقاء واو المد بالواو الجامدة، وياء المد بالياء الجامدة في الأمثلة السابقة ليس من باب التقاء الصوتين المتماثلين، في حقيقة النطق، فهذه الأصوات وإن كان تُمَثَّلُ برموز مشتركة إلا أن بينها اختلافاً في كيفية النطق، فجعل ذلك علماء التجويد وعلماء الأصوات يصنفونها في صنفين متقابلين من الأصوات هما الأصوات الجامدة والأصوات الذائبة. وإنما نَبَّهَ علماء التجويد على ذلك مع إدراكهم للاختلاف بين طبيعة هذه الأصوات حتى لا يتوهم المبتدئون فيدغموا واو المد وياء المد في الأمثلة السابقة ونحوها، فتختل بذلك ألفاظ التلاوة.

---

(١) الداني: الإدغام الكبير ص٥٩، والمرعشي: جهد المقل ص١٨٥.

(٢) ينظر: السعيدي: التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي ص٢٧٠-٢٧١.

٣- **علامة الإدغام:**

وعلامة الإدغام في الكتابة العربية التشديد، وهو رأس شين[١]. فالحرف المشدد يعني أنه مدغم مكوَّن من صوتين الأولُ ساكن والثاني متحرك. فإذا كان الصوتان من كلمة واحدة، وكان سكون الأول ليس عارضاً بسبب الإعراب فإنهما يمثلان برمز واحد توضع عليه علامة التشديد، وذلك مثل (مَدّ، وعَدّ، وثُمَّ) ونحو ذلك، قَلَّتْ حروف الكلمة أو كَثُرَتْ، والأصل في هذه الكلمات أن ترسم هكذا: مَدْدَ، وعَدْدَ، وثُمْمَ، لكن الكتابة العربية جرت على الاكتفاء برمز واحد في مثل هذه الحالة منذ أقدم عصورها، وهو المأخوذ به في رسم المصحف[٢]، وجَرى خطاطو المصاحف على وضع الشدة على الحرف الثاني في حالة حصول الإدغام عند تجاور الصوتين.

٤- **حقيقة النطق بالمشدد:**

والذي يحدث في إدغام الصوتين المتماثلين ليس مجرد تتابع صوت ساكن يليه صوت متحرك من جنسه، كما يحدث في نطق صوت ساكن يليه صوت متحرك بعيد عنه في المخرج والصفة. وإنما يتداخل نطق الصوتين المتماثلين في عملية نطقية واحدة. ويظهر ذلك التداخل أكثر ما يظهر في إدغام الصوت الشديد (الانفجاري) الذي يحتاج نطقه إلى حبس النَّفَس لحظة في المخرَج ثم إطلاقه، واجتماع صوتين شديدين يقتضي أن يحدث الحبسُ والإطلاقُ مرتين، لكن الذي يحدث في إدغام المتماثلين هو حبسٌ واحد أطول من حبس النَّفَس للصوت الشديد الواحد، ثم إطلاق النَّفَس بعد ذلك مرة واحدة.

ويظهر ذلك من تأمل نُطق التاء والباء المدغمتين في قول الله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة]، و﴿ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة] حيث تجد أن التاء تكون مشددة وكذا الباء، ويعتمد اللسان لهما في مخرجيهما اعتمادة واحدة،

---

(١) انظر: الخليل: العين ١/٤٩، وسيبويه: الكتاب ٤/١٦٩.

(٢) ينظر: كتابنا: رسم المصحف ص٢٦٠-٢٦١.

فَيُحْبَسُ النَّفَسُ في المخرج مدة أطول من حبسه في نطق الصوت المفرد، ثم يُطْلَقُ بعد ذلك الحبل فجأة. فإدغام المتماثلين يؤدي إلى اختصار العملية النطقية، ومما يؤكد ذلك أن الباء في (اضرب) صوت ساكن من شأنه أن يُقلقل قلقلة خفيفة في درج الكلام، لكن اتصال نطقه بالباء المكسورة بعده وارتفاع الشفتين بهما ارتفاعة واحدة فوَّتَ صوت القلقلة الذي يتبع الباء الساكنة.

قال عبد الوهاب القرطبي: «أما التشديد فيحدث إذا التقى حرفان مثلان أو حرفان متقاربان الأول منهما ساكن والثاني متحرك، فيقلب أحدهما إلى الآخر فيجب الإدغام، وذلك بأن يجعل الاعتماد على الحرفين مرة واحدة، فيكون النطق بهما دفعة من غير توقف على الأول ولا فصل بين الحرفين بحركة ولا روم[١]، ويكون الحرفان ملفوظاً بهما ويصيران بالتداخل كحرف واحد لا مهلة بين بعضه وبعضه ويلزم اللسان أو غيره من المخارج موضعاً واحداً، إلا أن مكثه واحتباسه في المشدد لما حدث من التضعيف أكثر من مكثه واحتباسه في المخفف، كقولك: قَطُّ وثُمَّ، وكان الأصل: قَطْطُ وثُمْمَ...»[٢].

٥- طول الصوت المشدد:

هناك مذهبان في تقدير طول الصوت المشدد (المدغم)، فقد ذهب بعض علماء التجويد إلى أن المشدد يقابل في النطق صوتين، وذهب بعضهم إلى أن المشدد هو أطول من الصوت الواحد وأقصر من الصوتين في النطق، لِمَا حصل من اتحاد عملية النطق للصوتين المتماثلين اللذين يكوِّنان الصوت المشدد[٣]. وهذا المذهب أقرب إلى ما يدل عليه ظاهر النطق بالصوت المشدد.

والنطق بالصوت المشدد لا يكون على نحو واحد، وإنما يتنوع بحسب

---

(١) الرَّوْمُ: هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها (الداني: التحديد ص١٧١).

(٢) الموضح ص١٣٩.

(٣) انظر كتابنا: الدراسات الصوتية ص٣١٦ وما بعدها.

طبيعة الصوت، فالنطق بالصوت الرخو مثل السين والشين والفاء والثاء ونحوها يحتاج إلى وقت أطول من النطق بالصوت المشدد مثل الدال والتاء والباء مثلاً، أما الصوت المشدد الأغن مثل الميم والنون فإنه يحتاج إلى وقت أطول من الصوت الشديد والرخو، وذلك لما فيه من الغنة التي تشبه المد، ومع ذلك فقد حَذَّرَ علماء التجويد من تطنين الغُنَّات وهو المبالغة في إطالتها، على ما سنوضح ذلك إن شاء الله بَعْدُ.

ويمكن أن تُرَتَّبَ المشددات بحسب ما تحتاج إليه من الوقت في نطقها إلى ثلاث درجات:

١- ما يشدد بسرعة، وهو الأصوات الشديدة (الانفجارية).

٢- ما يشدد بتراخٍ وتمهل، وهو الأصوات الغَنَّاء.

٣- ما يشدد بتوسط، وهو الأصوات الرخوة.

وقد أكَّدَ علماء التجويد على العناية بنطق بعض الأصوات المشددة، مثل الراء، فيجب إخفاء تكريره وعدم إظهاره، ولا يعني ذلك إعدام ارتعاد طرف اللسان بالكلية، إنما المقصود التحفظ بنطقه حتى لا ينطلق اللسان بالتكرار الزائد فيخرج الصوت إلى السماجة.

ثانياً: التأثر بين الأصوات المتجانسة والمتقاربة:

يُقَسِّمُ علماءُ التجويد الأصوات إلى متماثلة وهي التي تتفق في المخرج والصفات، وقد تقدم الكلام عنها في الفقرة السابقة، وإلى متجانسة وهي التي تتفق في المخرج وتختلف في بعض الصفات مثل الدال والتاء، والذال والثاء، ونحوها، وإلى متقاربة وهي التي تتقارب في المخرج أو الصفة كالدال والسين، والثاء والتاء ونحوها[1]. واستخدم بعض علماء السلف مصطلح المتقاربة للتعبير

---

(١) ينظر: أحمد بن الجزري: الحواشي المفهمة ٤٠ظ، والنابلسي: كفاية المستفيد ١٥ظ، والمرعشي: جهد المقل ص١٨٢، ومحمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص١٠٤.

عن القسمين الأخيرين كليهما[1].

إنَّ تَجَاوُرَ الأصوات الجامدة يؤدي إلى تأثر بعضها ببعض على نحو ما عرفت من قبل، فإذا التقى صوتان متقاربان وكان الأول منهما ساكناً تأثر بما بعده، إذا كانا من أصوات طرف اللسان خاصة، فينقلب الأول إلى لفظ الثاني، فيحصل الإدغام الذي يعني التقاء صوتين متماثلين، التقاءً مباشراً من غير أن تفصل بينهما حركة، فيرتفع العضو بهما ارتفاعة واحدة. وذلك في مثل: (قَدْ تَبَيَّن) حيث يتأثر صوت الدال بالتاء فيصير في النطق تاء (قَتْ)، فيدغم بالتاء التي بعده.

أما إذا تجاورت أصوات الحلق أو أصوات الشفتين فإنها لا تتأثر بتلك المجاورة غالباً، لأن الأصل في الإدغام أن يكون في أصوات طرف اللسان.

فمثال التقاء صوتين متجانسين من أصوات الحلق قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف]، فإن عاصماً أظهر الحاء الساكنة من (فاصفح) التي وقع بعدها عين، وهما من مخرج واحد وإنما فَرَّق بينهما الجهر الذي في العين والهمس الذي في الحاء، والسياق يسمح بحصول التأثر حيث تصير الحاء عيناً، ولكن ذلك لم يحصل لأن حروف الحلق ليست أصلاً في الإدغام.

ومثال التقاء صوتين متقاربين من أصوات الشفتين قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ﴿٩﴾﴾ [سبأ]. فصوت الفاء شفوي أسناني، والباء شفوي، وهما متقاربان ولكن لم يحصل بينهما تأثر، لأن أصوات الشفتين ليست أصلاً في الإدغام.

أما أصوات طرف اللسان وهي: ل ر ن، ط د ت ض، س ص ز[2]، ظ ذ ث، فيكثر فيها الإدغام لا سيما إذا كانت من مخرج واحد. وسوف أتتبع

---

(١) ينظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٧٣، ومكي: الكشف ١/ ١٣٥.

(٢) يبدو أن تميز الأصوات الثلاثة بالصفير قد جعل تأثرها بالأصوات الأخرى محدوداً، كما أن التقاء بعضها ببعض وحصول التأثر بينها محدود أيضاً.

ظواهر التأثر في هذه الأصوات من خلال النظر في كل مجموعة من هذه المجموعات وبيان ما يعرض لها من التأثر.

١- اللام والراء والنون:

أ- اللام:

١- لام التعريف:

اللام إذا كانت للتعريف فإنها تدغم في ثلاثة عشر صوتاً هي: التاء والدال والطاء والضاد والسين والزاي والصاد والذال والثاء والظاء والشين والراء والنون. وبعضهم يجعلها أربعة عشر صوتاً، ويذكر اللام معها[١]. والخلاف لفظي لأن التقاء لامين والثانية منهما ساكنة، يوجب الإدغام، ولكن لم يحصل قلب صوت إلى آخر.

والأمثلة على ذلك كثيرة، مثل: الليل والتَّائبون، والدِّين، والطَّامة، والضَّالين، والسَّبيل، والزَّرع، والصِّراط، والذِّكر، والثَّمرات، والظَّن، والشِّمال، والرَّحمٰن، والنَّعيم.

وقد سَمَّى بعض علماء التجويد المتأخرين الأصوات التي تدغم فيها لام التعريف بالحروف الشمسية، من باب تسمية الكل باسم الجزء، لأن اللام في (الشمس) تدغم في الشين، وسَمَّى الأصوات التي لا تتأثر لام التعريف بها بالحروف القمرية، لأن لام (القمر) تظهر، ولا تدغم، فكل صوت تظهر قبله لام التعريف فهو قمري[٢]. وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء والقاف والكاف والجيم والياء والفاء والباء والميم والواو، وأمثلتها: الأرض، والهدى، والعيون، والحق، والغاشية، والخير، والقرآن، والكتاب، والجبال، واليم، والفصل، والبر، والميزان، والوهاب. فهذه اللام تظهر في النطق، بينما

---

(١) الداني: التحديد ص١٦٠، ومكي: الكشف ١/١٤١.

(٢) ينظر: ابن الجزري: النشر ١/٢٢١، والطبلاوي: مرشدة المشتغلين ص٧٨، والمرعشي: جهد المقل ص١٩٤.

اللام قبل الأصوات الشمسية تقلب إلى جنس الصوت الذي بعدها وتدغم فيه.

وظاهرة إدغام اللام عند الأصوات الشمسية وإظهارها عند الأصوات القمرية تكشف عن قانون عام للتأثر بين الأصوات وهو أن التأثر يعتمد على مقدار القرب بين الأصوات المتجاورة. فالأصوات الشمسية كلها من أصوات طرف اللسان وما جاورها، واللام من مجموعة هذه الأصوات، أما الأصوات القمرية فإنها أصوات بَعُدَ مخرجها من مخرج اللام، ومن ثم لم يحدث الإدغام.

وهناك صوت واحد من الأصوات القمرية التي يجب إظهار اللام قبلها قد يسبق اللسان إلى إدغام اللام فيه إذا لم يتحفظ الناطق عند نطقه، وهو صوت الجيم، فقد غلب على العامة إدغام اللام في الجيم فيقولون: (أَجَّبَل) في الجبل، و(أَجَّنة) في الجنة، وهكذا، فعلى طالب التجويد أن يكثر من التمرين على نطق اللام ظاهرةً قبل الجيم حتى يعتاد لسانه النطق الصحيح. فقد حَذَّرَ علماء التجويد من إدغام لام التعريف في هذا الوضع، فقد قال السعيدي: «ومما يُحفَظُ أيضاً بيان اللام عند الجيم، وتخفيف الجيم بعدها، في مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡجَمَلُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف]، و﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر]، ﴿وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾ [الشعراء] وما أشبهه، لئلا تدغم اللام في الجيم»[1].

٢- إدغام لام (بل) و(قل):

وإذا لم تكن اللام للتعريف فإنها إذا وقعت ساكنة قبل الراء أدغمت في الراء، وذلك في مثل قوله تعالى:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء].

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾﴾ [طه].

(١) التنبيه على اللحن ص٢٧٤-٢٧٥.

ونحو ذلك، إلا موضعاً واحداً وهو قوله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴿١٤﴾﴾ [المطففين] فإن حفصاً روى عن عاصم الوقوف على اللام وقفةً خفيفةً ثم يبتدىء (رانَ على قلوبهم)[1]. ومن ثَمّ فات إدغام اللام في الراء في هذا الموضع.

٣- لام الفعل:

وإذا وقعت اللام ساكنة قبل النون في مثل (جَعَلْنَا) وجبت العناية بإظهار اللام حتى لا تصير في النطق نوناً، فيكون نطقها (جَعَنَّا) فإنه لحن ظاهر. وقد أكد علماء التجويد كثيراً على وجوب التحفظ ببيان اللام في هذا الموضع[2]. وأكتفي بنقل قول السعيدي في هذه القضية: «ومما يُحفظ أيضاً تخليص اللامات إذا سكنت عند النونات، وتخفيف النونات بعدها، في مثل قوله: (أنزلنا، وأرسلنا، وجعلنا، وقلنا) وشبههن، ويُحتاجُ في ذلك إلى حِذْق، لأن كثيراً من الناس ربما تكلف لسكونها فيحركها وهو لا يدري، فإذا أردتَ اللفظ بها على حسب ما يجب ألصقت طرف لسانك بما يليه من الحنك، من مخرج اللام، ثم نطقتَ بنون، فتحرك بها لسانك حركة خفيفة من غير أن تضطرب اللام عند خروج النون، فإن ذلك يؤدي إلى الحركة، ويُتَكَلَّفُ عندها لترقيق اللام، لئلا يَتَشَرَّبَ غنة النون لأنهما قريبتا المخرج فربما تختلطان»[3].

ب- الراء:

تميزت الراء عن الأصوات الأخرى بالتكرار، ومن ثَمَّ لم تدغم في غيرها، إلا ما رُوِيَ عن أبي عمرو بن العلاء، وحده أنه أدغمها في اللام في مثل قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]، أما عاصم والقراء الآخرون سوى

---

(١) ينظر: ابن خالويه: الحجة ص٣٣٧، ومكي: الكشف ٢/٥٥، والداني: التيسير ص١٤٢، و٢٢٠.

(٢) ينظر: مكي: الرعاية ص٦٢، والداني: التحديد ص١١٩.

(٣) التنبيه على اللحن ص٢٧٦-٢٧٧.

أبي عمرو فإنهم يُظهرون الراء في هذا الموضع وما أشبهه[1]. وتقدَّم أن اللام تدغم في الراء في مثل ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء].

جـ- النون:

لا يدغم شيء من الأصوات في النون، ويجب الحذر من سبق اللسان إلى ذلك، خاصة إذا وقع قبلها صوت ساكن من أصوات طرف اللسان. وقد حَذَّر علماء التجويد من إدغام لام الفعل في النون في مثل (جَعَلْنَا)، كما تقدَّم، ومن إدغام الراء فيها في مثل قول الله تعالى: ﴿بَشَّرْنَٰكَ ﴿٥٥﴾﴾ [الحجر][2]، ومن إدغام الظاء والذال والدال فيها في مثل قوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا ﴿١٧﴾﴾ [الحجر]، ﴿وَأَخَذْنَ ﴿٢١﴾﴾ [النساء]، ﴿فَوَجَدْنَٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الجن]، ونحو ذلك[3].

أما إدغام النون في غيرها من الأصوات فقد أجمع القراء على إدغامها في الراء واللام، وعلى إظهارها مع أصوات الحلق، وإخفائها مع بقية الأصوات، وقد جرت العادة في كتب علم التجويد على إفراد أحكام تأثر النون بغيرها من الأصوات بفصل مستقل[4]، ونحن نقتفي آثارهم في ذلك، نظراً لكثرة تلك الأحكام وتنوعها، وذلك بعد أن نستوفي الحديث عن إدغام بقية الأصوات.

٢- الدال والتاء والطاء والضاد[5]:

هذه الأصوات الأربعة من مخرج واحد، وهو بين طرف اللسان وأصول

---

(١) المرعشي: جهد المقل ص١٩٤.

(٢) الداني: التحديد ص١٥٤.

(٣) ينظر: القرطبي: الموضح ص١٦٦، والداني: التحديد ص١٤٤، ومكي: الرعاية ص١٧٥.

(٤) ينظر: المرعشي: جهد المقل ص١٩٤.

(٥) الطاء والضاد أصوات لا ينطبق وصف علماء العربية والتجويد المتقدمين لهما، وعلى نطقهما الفصيح اليوم. ونحن نذكر أوصافهما هنا ونعاملهما على أساس النطق المعاصر الذي يأخذ به جمهور القراء والناطقين بالعربية، وقد سبقت الإشارة إلى هذه القضية عند الكلام على صفات الأصوات.

الثنايا، وهُنَّ جميعاً أصوات شديدة (انفجارية)، وقد مَيَّزَ بينها في السمع اختلافها في صفة الجهر والهمس والإطباق والانفتاح، فالتاء مهموس، والطاء مهموس مطبق، والدال مجهور والضاد مجهور مطبق، وإذا التقى منهن صوتان وكان الأول ساكناً، أدغم الأول في الثاني إدغاماً كاملاً، إذا كان الأول دالاً أو تاء، وإدغاماً ناقصاً إذا كان الأول طاء أو ضاداً، لتمييزهما بصفة الإطباق التي حرص النطق العربي على المحافظة عليها عند الإدغام(١).

أ- التاء:

تدغم التاء في الطاء، فتصير في النطق طاء خالصة مدغمة في الطاء بعدها، وذلك في مثل قول الله تعالى:

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ [آل عمران].

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران].

﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ [الصف].

فَتُنْطَقُ التاء في هذه الأمثلة طاءً: (ودَّطْ، قَالَطْ، فآمَنَطْ) وتدغم في الطاء بعدها.

وتدغم التاء الساكنة في الدال، فتصير دالاً مدغمة في الدال الثانية، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا ﴾ [يونس]، ويكون النطق هكذا (أُجِيبَدْ)، ومثله قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ [الأعراف].

ب- الدال:

تدغم الدال في التاء، فتصير في النطق تاءً، وتدغم في التاء الثانية، والأمثلة في القرآن على هذا النوع من الإدغام كثيرة، من كلمة ومن كلمتين. من ذلك قول الله تعالى:

---

(١) ينظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص١١٥.

﴿أَرَدتُّمْ﴾ [البقرة: ٢٣٣، والنساء: ٢٠، وطه: ٨٦].

﴿وَعَدتَّنَا ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران].

﴿وَجَدتُّم ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف].

﴿عَاهَدتُّم﴾ [التوبة: ١، ٤، ٧].

﴿حَصَدتُّمْ ﴿٤٧﴾﴾ [يوسف].

﴿عُدتُّمْ ﴿٨﴾﴾ [الإسراء].

﴿رُّدِدتُّ ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف].

﴿عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾﴾ [الكافرون].

ومنه أيضاً قوله تعالى:

﴿قَد تَّبَيَّنَ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة].

﴿لَقَد تَّقَطَّعَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام].

﴿لَّقَد تَّابَ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة].

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت].

جـ- الطاء:

تُدْغَمُ الطاء في التاء في مثل قول الله تعالى:

﴿أَحَطتُ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل].

﴿بَسَطتَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة].

﴿فَرَّطتُ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر].

﴿فَرَّطتُمْ ﴿٨٠﴾﴾ [يوسف].

اتفق القراء على إدغام الطاء في التاء مع إبقاء صوت الإطباق، وسموه إدغاماً ناقصاً، واختلفوا في حقيقته[1]. وتوضيح ذلك أن الصوت الشديد يُنْطَقُ بحبس النَّفَس وإطلاقه، وها هنا صوتان شديدان، يقتضي نطقهما حبساً وإطلاقاً، ثم حبساً وإطلاقاً، ولكن التقاء الطاء والتاء وهما من مخرج واحد سَوَّغَ حصول الإدغام بين الصوتين، بحيث أدى ذلك إلى اختصار العملية النطقية إلى حبس واحد للنَّفَس وإطلاق واحد، مع إطالة مدة الحبس في هذه الحالة.

ولما كان قياس الإدغام أن يقلب الصوت الأول إلى جنس الثاني كان المتوقع أن يكون النطق (أحَتّتُ، وبَسَتّتَ. . إلخ)، ولكن القراء أجمعوا على إبقاء صوت الإطباق الذي يتميز به الطاء، ولكنهم اختصروا العملية النطقية على ما يقتضيه الإدغام، ومن هنا وُصِفَ هذا الإدغام بأنه إدغام ناقص، لبقاء شائبة الإطباق مع حبس النَّفَس فقط، وهو يمثل نطق الطاء، وزوالها مع إطلاق النَّفَس، وهو يمثل صوت التاء[2].

قال عبد الوهاب القرطبي عن هذه القضية: «الطاء إذا سكنت وبعدها تاء فإن الإدغام يجب لتقارب المخرج، ويبقى صوت الإطباق، كقوله تعالى: (أَحَطْتُ، وفَرَّطْتُ، وفَرَّطْتُمْ) وكان قياسه قلب الطاء تاء وإدغامها في التاء، كما في الحروف المتقاربة. . . إلا أنه لما كان من أحكام الإدغام أن الحرف إذا كان له فضيلة ومزية على مقاربه امتنع الإدغام، وكان للطاء فضيلة ومزية على التاء بالإطباق الذي في الطاء كُرِهَ ذهابُ إطباقها بالإدغام مع القلب المحض، فغادروا فيه صويتاً من الإطباق لئلا يُجْحِفُوا بها ويسلبوها مزيتها، فأُدغمت في التاء مع إبقاء شائبة من الطاء لذلك»[3].

---

(١) المرعشي: جهد المقل ص١٨٩-١٩٠.

(٢) ينظر تفصيل الموضوع في كتابنا: الدراسات الصوتية ص٤١٩-٤٢٥.

(٣) الموضح ص١٤٩-١٥٠.

د- الضاد:

الضاد في نطق مجيدي القراءة في زماننا هو النظير المطبق لصوت الدال، فهما يشتركان في المخرج وصفتي الشدة والجهر، ولكن الضاد تميزت عن الدال بالإطباق. وهي مشارِكَةٌ للتاء في المخرج والشدة، ومشارِكَةٌ للطاء في المخرج والشدة والإطباق، ومفارقة لها بالجهر.

وهذه الصفات للضاد تجعل احتمال حصول الإدغام بينها وبين الأصوات المشاركة لها في المخرج أمراً وارداً وذلك نحو قوله تعالى:

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة].

﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعام].

﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴿١٩٨﴾﴾ [البقرة].

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة].

﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة].

فقد التقت الضاد الساكنة بالطاء وبالتاء، وهذه الحالة تشبه من بعض النواحي التقاء الطاء بالتاء في مثل (أحطت)، والقياس يقتضي إدغام الضاد في الطاء والتاء، إدغاماً تاماً في الطاء، وناقصاً في التاء، لكن علماء التجويد ينصون على وجوب بيان الضاد وإظهارها[1].

---

(١) ينظر: الداني: التحديد ص١٦٣، والمرعشي: جهد المقل ص٣٠٠. وهذا الحكم مبني على أساس النطق القديم للضاد حين كان ينطق من أول حافة اللسان رخواً مستطيلاً، وهو ما لا ينطبق على نطق مجيدي القراءة في زماننا، حين ينطقون بالضاد من اللثة شديداً من غير استطالة، من مخرج الطاء والتاء والدال. والأمر يحتاج إلى مراجعة وتدقيق قبل إطلاق حكم قاطع فيه.

٣- الذال والظاء والثاء:

الأصوات الثلاثة تشترك في المخرج، وهو من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، وتشترك في صفة الرخاوة، فهي أصوات رخوة (احتكاكية)، وقد مَيَّزَ بينها في السمع همس الثاء وجهر الذال وإطباق الظاء.

وقد التقت الثاء بالذال في آي الذكر الحكيم في قول الله تعالى: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف]، والتقت الذال بالظاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ﴿٦٤﴾﴾ [النساء]، وحكم الثاء في (يلهثْ ذلك) والذال في (إذ ظلموا) وجوب الإدغام، فيكون النطق (يلهَذْ ذلك) و(إِظْ ظَلموا)[١].

٤- أصوات أخرى متقاربة:

أ- أجمع مشايخ الأداء على إدغام القاف في الكاف في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المرسلات]. ولكنهم اختلفوا في حقيقة هذا الإدغام أهو كامل فتصير القاف كافاً ويكون النطق (نَخْلُكُّم) أم أنه ناقص فتظل صفة الاستعلاء في القاف، ويكون الإدغام مقتصراً على اختصار عملية النطق على حبس واحد وإطلاق واحد للنَّفَس على نحو ما ذكرنا في نحو (أَحَطْتُ)؟

قال ابن الجزري: «فأما إذا كانت ساكنة قبل الكاف، كما هي في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ) فلا خلاف في إدغامها، وإنما الخلاف في إبقاء صفة الاستعلاء مع ذلك، فذهب مكي وغيره إلى أنها باقية مع الإدغام كهي في أحطت وبسطت[٢]، وذهب الداني وغيره إلى إدغامه إدغاماً محضاً[٣]، والوجهان صحيحان»[٤]، لكن معظم قُرَّاء زماننا يأخذون بالإدغام الكامل.

---

(١) ينظر: المرعشي: جهد المقل ص١٨٧.

(٢) انظر: الرعاية ص١٤٥.

(٣) ينظر: التحديد ص١٣١.

(٤) النشر ١/ ٢٢١، وانظر: ابن الباذش: الإقناع ١/ ١٨٣، والمرعشي: جهد المقل ٢٧و.

ب- أدغم عاصم الباء في الميم في قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢﴾ [هود] وقد شاركه في ذلك أكثر القراء[1]، فيكون النطق (ارْكَمْ معنا) وتدغم الميم المنقلبة عن الباء في الميم التي بعدها. ولم يقع في القرآن غيره[2].

ووجه هذا الإدغام هو أن الباء والميم صوتان شفويان، وكلاهما مجهور، وفَرَّق بينهما أن الباء صوت شديد (انفجاري) والميم صوت أغن (متوسط)، ولكي تكون الباء ميماً لا يحتاج الناطق إلى أكثر من تغيير مجرى النَّفَس إلى الأنف (الخيشوم)، وذلك بإبقاء الشفتين مُتضامَّتين والسماح للنَّفَس بالمرور إلى الأنف. وحين اجتمعت الباء ساكنة مع الميم فإن فتح الشفتين للنطق بالباء الساكنة ثم إعادة انطباقهما للنطق بالميم أمر مستثقل على الناطق، ومن ثَمَّ جاء الإدغام فيهما بحيث تنطبق الشفتان مرة واحدة للصوتين معاً فيتحقق بذلك الاقتصاد بالمجهود والسهولة في النطق.

ثالثاً: تأثر النون الساكنة بغيرها من الأصوات الجامدة:

خَصَّص كثير من علماء التجويد فصلاً مستقلاً لدراسة حالات تأثر النون بالأصوات المجاورة لها[3]، وأفرد بعضهم ذلك برسائل مستقلة[4]، وذلك لتنوع التأثر وشموله معظم أصوات العربية، وظل هذا الموضوع من أهم مباحث علم التجويد في القديم والحديث.

إن صوت النون يتميز بأن له معتمداً في الفم ومجرىً للنَّفَس من الأنف،

---

(١) الداني: التيسير ص٤٥.

(٢) المرعشي: جهد المقل ص١٩٠.

(٣) مثل: مكي: الرعاية ص٢٣٦-٢٤٣، والداني: التحديد ص١١٣-١١٧، وابن الجزري: التمهيد ص١٦٥-١٧١.

(٤) مثل: علي بن عثمان بن القاصح (ت٨٠١هـ): نزهة المشتاقين، وزكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ): تحفة نجباء العصر، وناصر الدين الطبلاوي (ت٩٦٦هـ): مرشدة المشتغلين، ومحمد بن القاسم البقري (ت١١١١هـ): العمدة السنية.

ويُشاركه في ذلك صوت الميم، أما بقية الأصوات فإن المعتمد والمجرى يكونان في مخرج الصوت ذاته. وقد قال بعض علماء التجويد المتقدمين إن النون والميم لهما مخرجان[1].

ويتميز صوت النون بأنه من أصوات طرف اللسان التي يكثر فيها الإدغام، فهي متوسطة بين أصوات أقصى الحلق وأصوات الشفتين، لكن وجود الغنة في النون قد جعل أثرَ كثيرٍ من الأصوات في النون أثراً جزئياً وليس كلياً.

إن النون إذا وقعت ساكنة قبل الأصوات الجامدة الأخرى، توقف مقدار تأثرها على بُعْدِ وقُرْبِ الصوت التي بعدها من مخرجها، فكلما كان مخرج الصوت أقرب إلى مخرج النون كان التأثر أكبر، وتنطبق جميع حالات تأثر النون الساكنة على التنوين، لأنه في الواقع نون ساكنة، إلا أنه تميز بالإشارة إليه في الكتابة بعلامات الحركات وليس برمز النون[2].

وهذا توضيح لحالات تأثر النون الساكنة والتنوين بالأصوات الجامدة:

١- الإدغام (التأثر الكلي أو التام):

إذا التقت النون الساكنة والتنوين باللام أو الراء فإن النون تصير في النطق من جنس الصوت الذي بعدها، وتدغم فيه، ولم تقع النون الساكنة قبل اللام والراء في كلمة في القرآن[3].

ومن أمثلة النون الساكنة قبل اللام قوله تعالى:

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة].

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة].

---

(١) مكي: الكشف ١/ ١٦٤.

(٢) ينظر: زكريا الأنصاري: تحفة نجباء العصر ص٥٢.

(٣) ابن الجزري: التمهيد ص١٦٧.

﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الصافات].

إن النون الساكنة والتنوين قبل اللام في الآيات السابقة يصيران لاماً ساكنة، فتدغم في اللام التي بعدها، لاجتماع مِثْلين أولهما ساكن، فيكون النطق في (ولكنْ لاَ): (وَلاكِلْ لا)، وفي (حكماً لقوم): (حُكْمَلْ لِقَوْمِ). فالنون في هذه الأمثلة تأثرت تأثراً كاملاً بالصوت الذي بعدها، وهو اللام، وهذا التأثر هو الذي سماه علماء العربية والتجويد بالإدغام.

ومن أمثلة النون الساكنة قبل الراء قوله تعالى:

﴿ أُوْلَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء].

ومن أمثلة التنوين قبل الراء قوله تعالى:

﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح].

ففي هذه الآيات تصير النون الساكنة والتنوين راءً خالصة، فتدغم في الراء التي بعدها، فتكون راءً مشدَّدة في النطق، فنقول في (مِنْ رَبهم): (مِرْ رَبهم)، وفي ثمرةٍ رِزْقاً: (ثَمَرَ تِرْ رِزقاً).

وقد ألحق علماء التجويد النون والميم باللام والراء في حكم إدغام النون الساكنة والتنوين بهما، إذا وقعا قبلهما[1]. أما النون فإنها تسري عليها قاعدة إدغام المتماثلين إذا التقيا وكان الأول منهما ساكناً، حيث يجب إدغامهما، فيصيران نوناً مشددة يجب العناية بنطقها وإظهار غنتها حتى تستوفيَ حقها، مع الحذر من المبالغة في إطالة الغنة فتخرج بذلك عن حدِّها.

---

(١) ينظر: مكي: الرعاية ص٢٣٧، والداني: التحديد ص١١٤، وابن الجرزي: التمهيد ص١٦٧.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور].

﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة].

وأما الميم فإن النون الساكنة تصير قبلها ميماً وتدغم فيها، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴿٢٢١﴾ ﴾ [البقرة].

ومما يوضح لك صيرورة النون الساكنة والتنوين في هذه الأمثلة ميماً رَسْمُ (مِنْ ما) متصلةً بَعْدَ قَلْبِ النون ميماً وإدغامها في الميم بعدها، هكذا: (مِمَّا)، فَبُنِيَ الرسم في هذه الكلمة على النطق، والأمر كذلك في (مِنْ مثله) وبقية الأمثلة. لكن قلة حروف (ما) سوَّغَ وصلها بـ(من) في الكتابة، بعد قلب النون ميماً، بينما كثرة حروف الكلمات الأخرى الواقعة بعد النون الساكنة حال دون الخروج على المعروف من القاعدة الإملائية القائلة بوجوب رسم كل كلمة مستقلة عن غيرها.

وإدغام النون الساكنة في النون والميم ينتج عنه نون مشددة وميم مشددة. وقد أولى علماء التجويد النطق بالنون والميم المشددتين عناية خاصة، وأوصوا بوجوب إعطائهما حقهما من الغنة، وهي جريان النَّفَس من الأنف، لأن النون الواحدة والميم الواحدة فيهما غنة من الأنف، إذا شُدِّدَتَا كانتا نونين وميمين، مما يوجب زيادة زمن النطق بالغنة. قال علي القاري: «بالغ في إظهار الغنة الصادرة من نون وميم مشددتين، نحو: إنَّ وثُمَّ، وإنما قدّرنا المبالغة لأن الغنة لازمة للنون والميم تحركتا أو سكنتا، ظاهرتين أو مُخْفاتَين أو مدغمتين»[1].

وإطالة زمن الغنة بالنون والميم المشددتين يلزم سواء كان التشديد من بنية

---

(١) المنح الفكرية ص٣٩.

الكلمة، كما في مثل (إنَّ وثُمَّ) أو كان ناتجاً عن الإدغام بسبب المجاورة بين الأصوات في مثل (مِنْ نور) و(مِنْ مَا ---> مِمَّا).

وينبغي أن نتنبه إلى أن إطالة زمن الغنة له مقدار يجب الحرص على الوقوف عنده وعدم تجاوزه، حتى لا تصل بك العناية بالغنة إلى حد الإفراط المذموم، وسوف ننقل أقوال علماء التجويد في مقدار زمن الغنة عند الكلام على إخفاء النون بعد قليل، إن شاء الله تعالى.

وقد سَمَّى معظم علماء التجويد حكم النون الساكنة قبل الواو والياء إدغاماً، ويصفونه بأنه إدغام بغنة، أي أنه إدغام ناقص، وذهب البعض منهم إلى أنه إخفاء وليس إدغاماً، قال علم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ): (واعلم أن حقيقة ذلك في الواو والياء إخفاء لا إدغام)[١]. ونحن نرجح هذا المذهب على نحو ما سنوضح ذلك.

٢- الإظهار (عدم التأثر):

إن إدغام النون في الراء واللام ناتج عن اشتراك هذه الأصوات في المخرج، أما الميم فإنه الصوت الوحيد الذي يشارك النون في صفة الأنفية (الغنة) في العربية، فكان ذلك سبباً لحصول الإدغام، فالإدغام (وهو التأثر الكامل) لا يكون إلا مع قرب المخرج أو اتحاده وقرب الصفات الصوتية[٢].

فإذا وقعت النون الساكنة قبل صوت بعيد المخرج والصفة تعذر حصول التأثر، ونُطِق بالنون ظاهرة من مخرجها، باعتماد طرف اللسان على أصول الثنايا مع جريان النَّفَس من الأنف، وهذا يتحقق إذا وقعت النون قبل أصوات الحلق الستة: الهمزة والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء، وذلك لأن هذه الأصوات هي أبعد الأصوات العربية من مخرج النون، ومن ثَمَّ لم تتأثر النون

---

(١) نقلاً عن: المرادي: المفيد ص١١٤.

(٢) ينظر: مكي: الرعاية ص٢٣٧ و٢٣٨، والداني: التحديد ص١١٥، والقرطبي: الموضح ص١٤٤.

الساكنة بها، فينطق بها مظهرة من مخرجها المحدد لها[1].

فمن أمثلة النون الساكنة والتنوين قبل الهمزة قول الله تعالى:

﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [الأعلى].

ومن أمثلتهما قبل الهاء:

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرعد].

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر].

ومن أمثلتهما قبل العين:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة].

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام].

---

(١) الغين والخاء أقرب أصوات الحلق إلى أصوات الفم، وقد رُوِيَ عن بعض العرب وبعض القراء إخفاء النون فيهما مراعاة لذلك القرب، وليس بالمشهور (انظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٥٤، ٤٥١، وابن مجاهد: السبعة ص١٢٥)، جمع بعض علماء التجويد المتأخرين الحروف التي تظهر النون قبلها في أوائل كلمات قوله:

أَخي هَاكَ عِلْماً حازَهُ غيرُ خاسر.

ومن أمثلتهما مع الحاء:

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [المائدة].

ومن أمثلتهما مع الغين:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحجر].

﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الإسراء].

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴿٥٩﴾ ﴾ [البقرة].

ومن أمثلتهما مع الخاء:

﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة].

فالنون الساكنة في هذه الآيات، والتنوين نون ساكنة، يجب العناية بإظهارها من مخرجها، لا سيما مع الغين والخاء، ولكن تلك العناية يجب ألّا تخرج إلى المبالغة في إظهار النون مما يؤدي إلى تحريكها بحركة خفيّة، أو يؤدي إلى التلبث في نطقها أكثر مما يحتاج إليه نطقها، وكلاهما يخرج بالقراءة عن السبيل المحمودة.

٣- الإخفاء (التأثر الجزئي أو الناقص):

هناك خمسة عشر صوتاً من الأصوات العربية الجامدة لم تقرب من النون

الساكنة قُربَ الأصوات التي تُدغم فيها النون، ولم تَبْعُدْ عنها بُعْدَ الأصوات التي تظهر قبلها النون، ولكنها توسطت في البعد والقرب، ومن ثَمَّ كان للنون الساكنة قبلها حالة هي بين الإظهار والإدغام سمَّاها علماء العربية والتجويد بالإخفاء[1].

إن إظهار النون الساكنة قبل أصوات الحلق الستة يتم باعتماد طرف اللسان على أصول الثنايا، وجريان النَّفَس من الأنف، وهذه الحالة تنطبق على النون المتحركة أيضاً، ولا فرق بين نطق النون الساكنة قبل أصوات الحلق الستة والنون المتحركة سوى أن اللسان يتلبث في مخرج النون الساكنة أكثر من تَلَبُّثِه في النون المتحركة، لأن الحركة تجتذب اللسان إليها بسرعة فيقل تلبثه في مخرج الصوت السابق لها. وبهذا يكون للنون المظهرة معتمد في الفم، موضعه بين طرف اللسان وأصول الثنايا، ومجرى للنَّفَس، وموضعه الخيشوم (التجويف الأنفي).

أما إدغام النون الساكنة في اللام والراء خاصة فإنه يتم بانتقال معتمد اللسان إلى مخرج الصوت الآتي بعدها، مع بطلان جريان النَّفَس من الأنف، وتحوله إلى الفم، وبذلك تصير مع اللام لاماً ومع الراء راءً، وذلك في مثل (مِنْ رِزْقٍ)، (ولٰكنْ لَا) حيث يكون النطق (مِرْرِزْقٍ)، و(ولاكِلْ لا). وقد مضى بيان ذلك من قبل.

أما إخفاء النون الساكنة قبل الأصوات الخمسة عشر فيتم بانتقال معتمد اللسان في الفم إلى مخرج الصوت الواقع بعدها مع بقاء جريان النَّفَس من الأنف في وقت النطق بالنون، ومن هنا قال علماء التجويد بأن الإخفاء حالة بين الإظهار والإدغام، فمجرى النَّفَس يظل من الأنف، وهو من خصائص الإظهار، ومعتمد اللسان ينتقل إلى مخرج الصوت الذي يقع بعد النون، وهو من خصائص الإدغام.

---

(١) ينظر مثلاً: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٥٤، والداني: التحديد ص١١٧.

وقديماً قرَّر مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): أن «حرف الغنة له مخرجان»[١]، وهو يريد بحرف الغنة النون والميم، ويريد بقوله (مخرجان) المعتمد والمجرى، وقال عبد الوهاب القرطبي (ت٤٦٢هـ) في توضيح حقيقة إخفاء النون من الناحية النطقية: «ومعنى خفائها ما قدمناه من اتصال النون بمخارج هذه الحروف واستتارها بها وزوالها عن طرف اللسان، وخروج الصوت من الأنف من غير معالجة بالفم»[٢]، وهذا هو معنى ما قدمناه من توضيح معنى الإخفاء.

ومما يوضح لك معنى الإخفاء أنك لو قلت: (مَنْ قال) لوجدت أن صوت النون قد تأثر نطقها بالقاف، وإذا تأملت حقيقة نطقها في هذا الموقع لوجدت أن معتمدها في الفم قد تحوَّل إلى أقصى اللسان بينه وبين ما يقابله من الحنك الأعلى، وهو مخرج القاف، ومع اعتماد أقصى اللسان على موضع مخرج القاف من الحنك فإن النَّفس يظل جارياً من الأنف، فإذا استوفى نطق النون حَقَّهُ على هذه الصورة ظل اللسان في موضعه وانقطع جريان النَّفَس من الأنف، واحتبس لحظة في مخرج القاف، ثم ينفرج أقصى اللسان فجأة، فيندفع النَّفَس في الفم محدثاً صوت القاف، وهذا يحدث مع جميع الأصوات الخمسة عشر التي تخفى عندها النون الساكنة، فيكون معتمد النون مع كل صوت منها في موضع مخرج ذلك الصوت.

واستناداً إلى حقيقة العملية النطقية التي تحدث للنون قبل الأصوات الخمسة عشر، والمتمثلة بانتقال معتمد النون في الفم إلى مخرج الصوت التالي لها، سمَّى علماء التجويد ما يحدث للنون عند هذه الأصوات إخفاءً، لأن مخرج النون يستتر أو يخفى في مخرج الصوت الكائن بعدها، ومصطلح (الإخفاء) المعبر عن حالة النون قبل هذه الأصوات من المصطلحات العريقة الراسخة التي استخدمها علماء العربية وعلماء التجويد منذ دهرهم الأوَّل إلى وقتنا.

---

(١) الكشف ١/ ١٦٤.

(٢) الموضح ص١٧٠.

والأصوات الخمسة عشر التي تخفى عندها النون الساكنة هي[1]: القاف والكاف والجيم والشين والتاء والدال والطاء والضاد والسين والصاد والزاي والظاء والذال والثاء والفاء. وهذه أمثلة وقوع النون الساكنة والتنوين قبلها، من كلمات القرآن، والتنوين لا يجتمع معها إلا من كلمتين، والنون الساكنة قد تجتمع معها في كلمة أو كلمتين:

١- **القاف**:

﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء].

﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [الأعراف].

٢- **الكاف**:

﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٢٣٢﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾ [مريم].

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الشعراء].

٣- **الجيم**:

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿ لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النور].

---

(١) وقد جمعها الشيخ الجَمْزُوري - رحمه الله - في أوائل كلمات بيت من أرجوزته المشهورة (تحفة الأطفال) وهو:

صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا ... دُمْ طَيِّباً زِدْ في تُقىً ضعْ ظَالِمَا

٤- الشين :

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النمل].

﴿ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الإسراء].

٥- التاء :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران].

٦- الدال :

﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الحج].

﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [الأنعام].

٧- الطاء :

﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ ﴿٥٧﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النساء].

﴿ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الشعراء].

٨- الضاد :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل].

﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ ﴾ [هود].

٩- السين:

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد].

١٠- الزاي:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴿٤﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [طه].

١١- الصاد:

﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال].

١٢- الثاء:

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [المؤمنون].

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان].

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ

وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ [الأنعام].

١٣- الذال:

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة].

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران].

١٤- الظاء:

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنعام].

﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف].

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف].

١٥- الفاء:

﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف].

﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة].

﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام].

☆ ☆ ☆

وكان معظم علماء العربية وعلماء التجويد قد جعلوا الواو والياء من الأصوات التي تدغم فيها النون الساكنة مع بقاء غنتها[1]، وسماه بعضهم بالإدغام الناقص[2].

---

(١) سيبويه: الكتاب ٤/٤٥٢، والمبرد: المقتضب ١/٢٢١، ومكي: الرعاية ص٢٣٧، والداني: التحديد ص١١٤.

(٢) ابن الجزري: النشر ٢/٢٨.

وجعل بعض علماء التجويد الواو والياء من الأصوات التي تُخفى عندها النون الساكنة، قال علم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ): «واعلم أن حقيقة ذلك في الواو والياء إخفاء لا إدغام، وإنما يقولون له إدغاماً مجازاً، وهو في الحقيقة إخفاء على مذهب من يُبقي الغنة، لأن ظهور الغنة يمنع تمحيض الإدغام، إلا أنه لا بد من تشديد يسير، وهو قول الأكابر، قالوا: الإخفاء ما بقيت معه الغنة»(١).

وإذا تأملنا حقيقة نطق النون الساكنة قبل الواو والياء الجامدتين وجدنا تعريف الإخفاء ينطبق عليه تماماً، فحين ننطق قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الرعد]، وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء] نجد أنَّ النون الساكنة في (مِنْ واق) وفي (مَنْ يعملْ) ينتقل معتمدها إلى مخرج الواو والياء مع بقاء جريان النَّفَس من الأنف، وهو ما سماه علماء التجويد بالغنة، ثم يلفظ الناطق، بعد أن تستوفي النون الساكنة حقها من الصوت، بالواو أو الياء، وهذا هو الإخفاء بعينه(٢).

ومن أمثلة ذلك في الياء:

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام].

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) نقلاً عن المرادي: المفيد ص١١٤، وانظر: السمرقندي: روح المريد ص١٥٠، ومحمد مكي ناصر: نهاية القول المفيد ص١٢٠.

(٢) رَوى خلف بن هشام البغدادي (ت٢٢٩هـ) عن حمزة بن حبيب الزيات أنه كان يقرأ بإدغام النون الساكنة في الواو والياء بلا غنة، فيقول: (مِوَّال) و(مَيّ يَعملْ) وهذا إدغام لا خلاف بين العلماء فيه، (انظر: الداني: التيسير ص٤٥).

ومن أمثلة ذلك في الواو:

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة].

وأنت ترى أن هذه الأمثلة لم يرد فيها اجتماع الواو والياء مع النون الساكنة في كلمة واحدة، فقد لاحظ علماء العربية[1] وعلماء التجويد، أنه إذا اجتمعت النون الساكنة معهما في كلمة واحدة فإن النون تكون ظاهرة ولا تتأثر بهما. قال الداني: «فإن كانت معهن من كلمة لم يجز الإدغام نحو ﴿ قِنْوَانٌ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام]، و﴿ صِنْوَانٍ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد]، ﴿ بُنْيَٰنَهُمُ ﴿١١٠﴾ ﴾ [التوبة]، و﴿ ٱلدُّنْيَآ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة]، وكذا شاةٌ زَنْمَاءُ وما أشبهه. وذلك مخافة أن يشتبه ذلك إذا أدغم بالمضاعف الذي على مثال فَعَّال، نحو: صوّان وحيَّان، وشاة جمَّاء، فَعُدِلَ عن الإدغام لذلك»[2].

الإقلاب:

جرى علماء العربية وعلماء التجويد على إفراد النون الساكنة قبل الباء بحكم مستقل سموه القلب، فقال سيبويه: «وتُقلبُ النون الساكنة مع الباء ميماً»[3]. وذلك في مثل (من بعد)، فيكون النطق (مِمْ بَعد).

وقال الداني: «والحال الثالثة أن يُقْلَبَا ميماً من غير إدغام، وذلك إذا لقِيا الباء، نحو: ﴿ أَنۢ بُورِكَ ﴿٨﴾ ﴾ [النمل]، و﴿ أَنۢبِئْهُم ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة]، و﴿ جُدَدٌۢ بِيضٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [فاطر]، و﴿ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور] وما أشبهه. وإنما قُلِبا ميماً

---

(١) ينظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٥٥، والمبرد: المقتضب ١/ ٢٢٠.

(٢) التحديد ص١١٦، وانظر: ابن الجزري: التمهيد ص١٦٧.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٥٣.

عندها خاصة من أجل مؤاخاة الميم للنون في الغنة ومشاركتها للباء في المخرج فقلبا ميماً من أجل ذلك»[١].

وإذا تأملت حالة النون الساكنة قبل الباء وقلبها ميماً لوجدتَ أن تعريف الإخفاء ينطبق عليها أيضاً، وذلك لأنك تلاحظ انتقال معتمد النون إلى مخرج الصوت الذي بعدها في مثل (مِنْ بعد) وهو الباء، فإذا اعتمدت للنون في الشفتين، وهي مخرج الباء، وأبقيت النَّفَس جارياً من الأنف سُمِعَ عندئذ صوت الميم، ومن هنا قال علماء العربية والتجويد بأن النون الساكنة قلبت ميماً قبل الباء، فهي في السمع ميم، وفي حقيقة العملية النطقية هي إخفاء للنون في الباء، وقد قال المرعشي: «لولا أصل الغنة لكان الميم باءً»[٢].

درجات الإخفاء:

وقد لاحظ علماء التجويد أن إخفاء النون الساكنة والتنوين يتفاوت بحسب بُعْد وقربِ الصوت الذي بعدهما، قال الداني: «وإخفاؤهما على قدر قربهما وبعدهما، فما قَرُبَا منه كانا عنده أخفى مما بَعُدَا منه»[٣]. وقال القرطبي: «إن حروف الإخفاء أيضاً ترتبت في التوسط، فكان فيها أقرب وأبعد، فكان الإخفاء في الأقرب أكثر منه في الأبعد، فصار الأبعد بين الإخفاء والإظهار»[٤].

وقد وَضَّح محمد المرعشي درجات الإخفاء فقال: «واعلم أن الإخفاء على ثلاث مراتب يتوقف بيانها على تقديم مقدمة وهي أن الغنة صفة النون الساكنة وأثرها الباقي عند إخفاء ذاتها[٥]، فمعنى صِغَرِ إخفاء النون كِبَرُ أثرها الباقي،

---

(١) التحديد ص١١٧، وانظر: مكي: الرعاية ص٢٤٠.

(٢) جهد المقل ص٢٠٧.

(٣) التحديد ص١١٧.

(٤) الموضح ص١٧١.

(٥) يريد أن معتمدها في الفم قد زال إلى مخرج الصوت الذي بعدها.

ومعنى كِبَر إخفائها صِغَرُ أثرها الباقي، وذاتها معدومة عند الإخفاء على كل حال، وحروف الإخفاء على ثلاث مراتب: أقربها مخرجاً إلى النون ثلاثٌ الطاء والدال المهملتان والتاء المثناة الفوقية[1]، وأبعدها القاف والكاف، والبواقي متوسطة في ذلك بين القرب والبعد.

وبالجملة: إن مراتب الحروف ثلاث:

١- فإخفاؤهما عند الحروف الثلاث الأُوَل أزيدُ وغنتهما الباقية قليلة، بمعنى أن زمان امتداد الغنة قصير.

٢- وإخفاؤهما عند القاف والكاف أقل وغنتهما الباقية كثيرة، بمعنى أن زمان امتدادها طويل.

٣- وإخفاؤهما عند بواقي الحروف متوسط فزمان غنتهما متوسط، ولم أر في مؤلف تقدير امتداد الغنة في هذه المراتب»[٢].

مقدار الغنة:

وقول المرعشي السابق: «ولَمْ أرَ في مؤلف تقدير امتداد الغنة في هذه المراتب» لا يعني أن الأمر كان اجتهادياً وغير منضبط، فعلماء القراءة والتجويد يعتمدون في ضبط كثير من وجوه الأداء على المشافهة والتلقين، لا سيما الظواهر النطقية التي لا تضبطها الكتابة ولا يحيط بها الوصف.

وقد حاول المرعشي نفسه تحديد مقدار الغنة فقال: «لا يصل امتدادها إلى قدر ألف أو أزيد»[٣]. وكان حسن بن إسماعيل الدركزلي، وهو من المتأخرين،

---

(١) يمكن أن نضيف إليها الضاد في نطق القَرَأَةِ مِنَ المصريين ومَنْ جاراهم، لأنها حينئذ من مخرج هذه الأصوات الثلاثة.

(٢) جهد المقل ص٢٠٤.

(٣) بيان جهد المقل ٥ظ.

قد قال: «وأما زمنها فهو أطول من زمن الحرف وأقصر من زمن الحرفين، فيكون قريباً من زمن المد الطبيعي»[1]، وصرَّح الشيخ محمد علي خلف الحسيني الشهير بالحداد أن «الغنة مقدار حركتين»[2].

وقد حَذَّر العلماء من تطنين النون وهو المبالغة في إظهار غنتها، سواء كانت ظاهرة أو مخفاة، وفي المخفاة تكون أكثر عرضة لذلك، لأن التطنين معناه إطالة الصوت بها، قال المرعشي: «وليحذر عن المبالغة في تطويل غنة الإخفاء»[3].

وهناك قضية ينبغي أن يتنبه لها القارئ في كيفية النطق بالنون المخفاة، وهي أن اللسان حين ينتقل من مخرج النون إلى مخرج الصوت الذي بعدها فإنه يتبع في حالته حالة اللسان مع ذلك الصوت، فإذا قلت: (مَنْ قال) أو (مَنْ كان) رأيت أقصى اللسان يعتمد للنون اعتماده للصوتين اللذين بعدها. وكذلك إذا قلت: (مَنْ ذا) و(مَنْ سأل) رأيت طرف اللسان عند النطق بالنون المخفاة يكون في موضع مخرج الصوت الذي بعدها، وأخذا الكيفيةَ التي يكون عليها اللسان مع ذلك الصوت، وهكذا يكون الحال مع بقية الأصوات التي تخفى عندها النون الساكنة[4].

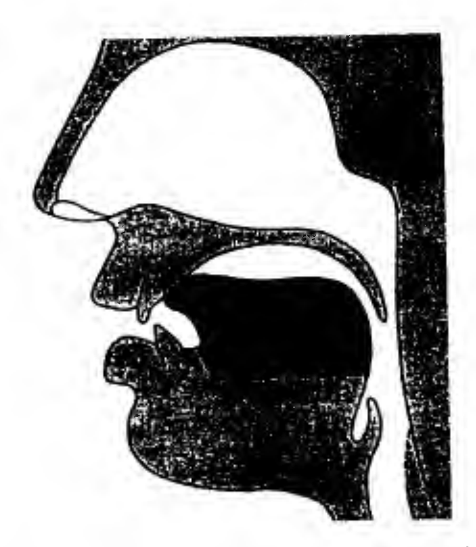
---

(١) خلاصة العجالة ص١٣٨.

(٢) تحفة الراغبين ص٦.

(٣) جهد المقل ص٢٨٧.

(٤) ينظر بحث: «إخفاء النون حقيقته الصوتية وطريقة أدائه لدى القراء المعاصرين» في كتاب: أبحاث في علم التجويد ص١٠٧، طبع دار عمار/ الأردن.



رسم توضيحي لأعضاء آلة النطق في حالة نطق النون المظهرة في مثل (عَنْهُ)



رسم توضيحي لأعضاء آلة النطق في حالة نطق النون المخفاة في مثل (مِنْكُمْ)

تأثر الميم بالأصوات المجاوِرَة:

الميم صوت أغَنُّ مثل النون، يُعْتَمَدُ له في الشفتين بانطباقهما ويجري النَّفس من الأنف، ولا فرق بينهما إلا في موضع الاعتماد، وأدّى ذلك إلى اختلاف جرسهما. وقد سبق القول بأن أصوات الشفتين يقل فيها التأثر بغيرها لتطرفها، ومِنْ ثمّ فإن الميم لا تدغم إلا في الميم، جرياً على قاعدة إدغام الصوتين المتماثلين إذا التقيا وكان الأول ساكناً[1]. وذلك في مثل قول الله تعالى:

﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴿٧٠﴾ ﴾ [النحل].

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس].

وسواء أكانت الميم الساكنة من أصل الكلمة، كما في الآيات السابقة، أو كانت منقلبة عن نون ساكنةٍ واقعةٍ قبل ميم في نحو قوله تعالى:

﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال].

فالنون في (يكن) تصير ميماً، وتدغم في ميم (منكم). وقد كتبت تلك النون ميماً في بعض الكلمات القليلة الحروف، في مثل: ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة]، بسبب الإدغام.

وإذا جاءت الميم الساكنة قبل الباء في مثل قول الله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الأنبياء].

---

(١) ينظر: الرعاية ص٢٠٧، والداني: التحديد ص١٦٧.

فإن عبارة علماء السلف في وصف حقيقة النطق بالميم في هذا الموضع قد تعددت، فمنهم من قال: هي مُخْفاة ويسميه إخفاء شفوياً، ومنهم منْ قال: هي مظهرة[١]. ويترجح أن يكون الخلاف لفظياً، لأن النطق واحدٌ في كلا القولين، واستخدام عبارة الإظهار هنا أوضح، كما قال بعض علماء التجويد[٢].

وإذا وقعت الميم الساكنة قبل الأصوات الجامدة الأخرى فإن علماء الأداء مجمعون على إظهارها، لا سيما قبل الواو والفاء، لقرب مخرجهما منها، قال الداني: «وإن التقى بالفاء أو الواو أنعم بيانه للغنة التي فيه»[٣]. وقال السعيدي: «ومما يحفظ أيضاً إسكان الميم الساكنة إذا أردت إظهارها عند الفاء والواو: في مثل قوله تعالى:

عند الفاء:

﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة].

و﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الروم].

و﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المؤمنون].

و﴿ بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾ [الشمس].

وعند الواو نحو قوله:

﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴿٧١﴾ ﴾ [الأعراف].

و﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يس].

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأنبياء].

وما أشبه هذه الحروف، يُلْفظُ بهذه الميمات كلها ساكنة، ويُتَوقَّى فيها من

---

(١) ينظر: الداني: التحديد ص١٦٨، وابن الجزري: التمهيد ص١٥٥.

(٢) ينظر ذلك في كتابنا: الدراسات الصوتية ص٤٦٤.

(٣) التحديد ص١٦٧.

الحركة، فإذا أَطبقتَ شفتيك للميم وأردت النطق بالفاء ألحقت ثَنِيَّتَيْك بمخرج الفاء من الشفة السفلى، وليكن ذلك عند انفتاح شفتيك من الميم في وقت واحد، من غير اضطراب بينهما ولا إبطاء، فإن ذلك يؤدي إلى تحريك الميم»[١].

وخلاصة الأمر هي أن الميم الساكنة لا تتأثر بالأصوات المجاورة لها تأثراً ظاهراً، ولا تدغم إلا في صوت مماثل (أي الميم). ولكن ينبغي العناية بنطق الميم إذا وقعت قبل الباء وذلك بإطباق الشفتين لنطق الميم ثم نطق الباء متصلاً بالميم من غير فصلٍ بينهما مع إظهار غنة الميم، ومن القراء من يجافي بين شفتيه قليلاً عند النطق بالميم، ثم يُطبق شفتيه إذا انتقل إلى نطق الباء بعدها، وهو المشهور في الديار المصرية ومَنْ أخذ القراءة عن قرائها، ومنهم من لا يجافي بين شفتيه عند النطق بالميم، ويُطبق شفتيه للميم والباء، كما هو المشهور في الديار العراقية في زماننا، وهو الموافق لعبارة كتب التجويد القديمة[٢].

رابعاً: الترقيق والتفخيم:

قال عبد الغني النابلسي: «التفخيم هو جَعْل الحرف غليظاً في التلفظ به، والترقيق جعله رقيقاً»[٣]. وقال محمد المرعشي في تعريفهما: «والتفخيم في الاصطلاح عبارة عن سِمَنٍ يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه، والتفخيم والتسمين والتجسيم والتغليظ بمعنى واحد. والترقيق عبارة عن نحول يدخل على جسم الحرف فلا يمتلىء الفم بصداه»[٤]. وقال الوفائي: «الترقيق

---

(١) التنبيه على اللحن ص٢٨٢-٢٨٣.

(٢) ينظر التفصيل في بحث: «إخفاء الميم في النطق العربي» في كتاب «أبحاث في علم التجويد» ص١٣٤.

(٣) كفاية المستفيد ١١ظ.

(٤) جهد المقل ص١٥٣.

إنحاف ذات الحرف. . . والتفخيم رَبُوُّ الحرف وتسمينه»[1].

والعامل الأساسي في حصول التفخيم في الأصوات هو تصعد أقصى اللسان باتجاه ما يقابله من الحنك الأعلى، ومن ثَمَّ كانت أصوات الإطباق الأربعة مفخمة دائماً لأن أقصى اللسان يتصعد معها نحو الحنك في الوقت الذي يضع الناطق طرف لسانه في مخارجها عند أصول الثنايا. وكذلك كانت أصوات الاستعلاء، وهي القاف والغين والخاء، مفخمة لأن أقصى اللسان يتصعد عند النطق بها، بينما لا تُعدُّ الكاف والجيم والشين والياء من أصوات الاستعلاء لأن الذي يستعلي معها هو وسط اللسان أو ما بين أقصاه ووسطه.

وتقسم أصوات العربية من حيث التفخيم والترقيق على عدة أقسام[2]: مفخمة مطلقاً، ومرققة مطلقاً، وما يُفَخَّمُ أحياناً وأصله الترقيق أو يرقق وأصله التفخيم. والألف الممدودة، وهي من الأصوات الذائبة، تتأثر بمجاورة الأصوات فترقق بعد الأصوات المرققة وتفخم بعد الأصوات المفخمة، وهذا بيان لتلك الحالات:

١- الأصوات المفخمة:

الأصوات المفخمة دائماً سبعة هي أصوات الاستعلاء، وهي أربعة مُطْبَقَةٌ: الطاء والصاد والظاء والضاد، وثلاثة مستعلية لا إطباق فيها، وهي الخاء والغين والقاف. فالتفخيم ملازم لهذه الأصوات حيث وقعت في التركيب، وهو مترتب على استعلاء أقصى اللسان في الفم، وقديماً قال عبد الوهاب القرطبي: «إن التفخيم والإطباق والاستعلاء من وادٍ واحد»[3].

وتتفاوت درجة التفخيم في هذه الأصوات، والقاعدة في تحديد ذلك «أن

---

(١) الوفائي: الجواهر المضية ٤٦و.

(٢) المصدر نفسه ٥٠ظ.

(٣) الموضح ص١٧٩.

قَدْرَ التفخيم على قَدْرِ الاستعلاء والإطباق»[1]. ومن ثَمَّ كانت الأصوات المطبقة أشد تفخيماً من الأصوات المستعلية التي لا إطباق فيها[2].

وينبغي العناية بنطق الأصوات المستعلية، لا سيما الأصوات المطبقة، حتى لا يضمحل فيها الإطباق فتؤول إلى مقابلاتها المنفتحة، حيث تصير الطاء تاء، والضاد دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، فتختل بذلك ألفاظ التلاوة، وقد أكد علماء التجويد على هذه القضية كثيراً، وهذه جملة من أقوالهم تدل على ما ذكرناه.

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «وإذا وقعت الظاء في كلمة تشبه كلمة أخرى بالذال بمعنى آخر وجب البيان للظاء، لئلا ينتقل إلى معنى آخر، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠﴾ [الإسراء] أي: ممنوعاً، فهو بالظاء، فبيَّنه لئلا يشتبه في اللفظ بقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾ [الإسراء] فهذا بالذال من الحذر»[3].

وقال أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ): «وكذلك يلزم أن يُتَعَمَّل تخليص الصاد من السين فيما يتفق لفظه ويختلف معناه بما تقدم، وذلك في نحو قوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ۝١١﴾ [الأنبياء] و﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ ۝٣٢﴾ [الزخرف]...»[4].

وقال عبد الوهاب القرطبي (ت٤٦١هـ) وهو يتحدث عن أصوات الصفير: «وحال الصاد والسين والزاي كحال الطاء والدال والتاء، والظاء والذال والثاء، لأن الصاد امتازت عن السين بالإطباق، ولولاه لكانت الصاد سيناً، وكذلك السين امتازت عن الزاي بالهمس ولولاه لكانت زاياً، ويدخل بعضها على بعض لأجل الصفير، فَتَعَمَّلْ لتخليص ذلك، كقوله تعالى: ﴿الصراط﴾ فيمن قراءته

---

(١) المرعشي: جهد المقل ص١٥٥.
(٢) خالد الأزهري: الحواشي الأزهرية ص٢٣.
(٣) الرعاية ص١٩٥.
(٤) التحديد ص١٤٧.

بالصاد، وكذلك قوله تعالى: ﴿أُحْصِرْتُمْ ١٩٦﴾ [البقرة] راعِ الإطباق فيه لئلا يصير سيناً، كما في قوله: ﴿مَّحْسُورًا ٢٩﴾ [الإسراء]، لأجلِ المماثلة، واحذر أن تنقلب السين في (إسرائيل) وما جرى مجراه صاداً، بذهاب انفتاحها.

ومواضع دخول بعضها على بعض كثيرة، ومن أهمها ما يتفق لفظه ويختلف معناه نحو: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا ١١﴾ [الأنبياء] و﴿نَحْنُ قَسَمْنَا ٣٢﴾ [الزخرف] و﴿يُصْحَبُونَ ٤٣﴾ [الأنبياء] و﴿يُسْحَبُونَ ٧١﴾ [غافر][(١)].

٢- الأصوات المرققة:

الأصوات المرققة تسعة عشر صوتاً هي ما عدا أصوات الاستعلاء المفخمة دائماً، وما عدا اللام والراء التي تفخم أحياناً وترقق في أحيان أخرى فتكون: الهمزة والهاء والعين والحاء والكاف والجيم والشين والياء والنون والدال والتاء والسين والزاي والفاء والثاء والذال والباء والميم والواو[(٢)].

وقد نبَّه علماء التجويد على العناية بالأصوات المرققة لا سيما إذا جاورت صوتاً مطبقاً أو مستعلياً، حتى لا يلحقها التفخيم الذي هو قرين للأصوات المطبقة والمستعلية. وقد يطول الكلام إذا تتبعنا كل أقوالهم في ذلك، ونكتفي منها بما يكون للطالب دليلاً إلى الصورة الصحيحة للنطق.

قال مكي: «وإذا وقعت التاء متحركة قبل طاء وجب التحفظ ببيان التاء، لئلا يقرب لفظها من الطاء، لأن التاء من مخرج الطاء، لكن الطاء حرف قوي متمكن لجهره[(٣)] ولشدته وإطباقه واستعلائه، والتاء حرف مهموس فيه ضعف، والقوي من الحروف إذا تقدمه الضعيفُ مجاوراً له جذبه إلى نفسه إذا كان من مخرجه، ليعمل اللسان عملاً واحداً في القوة من جهة واحدة. فإن لم يتحفظ القارئُ بإظهار لَفْظِ التاء على حقها من اللفظ قَرُبَ لفظها من لَفْظِ الطاء ودخل

---

(١) الموضح ص١١٢.

(٢) انظر النابلسي: كفاية المستفيد ١١ظ.

(٣) الطاء في النطق العربي المعاصر صوت مهموس، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

في التصحيف[1]، وذلك نحو (يستطيع) و(استطاع) و(يستطيعون) وشبهه، لا بد من التحفظ بإظهار التاء في هذا النوع بلفظ مرقق غير مفخم لتظهر من لفظ الطاء التي بعدها. . .

وكذلك تُبَيِّنُ التاء المتحركة قبل الطاء، وإن حال بينهما حائل، نحو: (اختلط) وإن لم تُبَيِّنِ التاء مرققة مع ترقيق اللام قَرُبَت من لفظ الطاء التي بعدها، وصارت اللام مفخمة وذلك إحالة وتغيير. فلا بد من ترقيق اللام والتاء وإظهار ذلك»[2].

وقال الداني وهو يتحدث عن السين: «فإذا أتى بعده حرف من حروف الإطباق في كلمة يلزم إنعام تخليصه والتوصل إلى سكونه في رِفْقٍ وتُؤَدَةٍ، وإلاّ صار صاداً بالاختلاط، وذلك نحو قوله: ﴿مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ [الطور] و﴿يَسْطُونَ ۝٧٢﴾ [الحج] و﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم] و﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ ۝٩٧﴾ [الكهف] و﴿مَا لَمْ تَسْطِع ۝٨٢﴾ [الكهف] و﴿بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ ۝٢٤٧﴾ [البقرة] و﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ۝٢٩﴾ [الإسراء] و﴿بِٱلْقِسْطَاسِ ۝٣٥﴾ [الإسراء] و﴿بِٱلْقِسْطِ ۝١٨﴾ [آل عمران] وما أشبهه.

وكذلك أن تحرك نحو: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ۝٢٦﴾ [الرعد] ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ ۝٢٧﴾ [الشورى] و﴿بَسَطتَ إِلَىَّ ۝٢٨﴾ [المائدة].

وكذلك إن أتى قبله أو بعده قاف تُوَصِّلَ إلى اللفظ به في حال سكونه وتحريكه برقة ورفق نحو: ﴿بِٱلْقِسْطِ ۝١٨﴾ [آل عمران] و﴿فِى سَقَرَ ۝٤٢﴾ [المدثر] ﴿وَسَقَىٰهُمْ ۝٢١﴾ [الإنسان] ﴿وَنُسْقِيَهُۥ ۝٤٩﴾ [الفرقان]، وإلا انقلب صاداً»[3].

وقال ابن الجزري وهو يتحدث عن الذال: «وإذا التقت بالراء فلا بد من

---

(١) يريد اللحن، لأن التصحيف مما تعارف الناس على استخدامه في تحريف المكتوب.

(٢) الرعاية ص١٨٠-١٨١، وانظر: الداني: التحديد ص١٣٩، وابن الجزري: التمهيد ص١٢١.

(٣) التحديد ص١٤٩-١٥٠، وانظر: مكي: الرعاية ص١٨٦

بيانها وتخليص اللفظ بها رقيقة، وبالراء بعدها مفخمة، فلا تتساهل في ذلك، فربما انقلبت الذال ظاء، إذا فخمت الراء، نحو قوله: ﴿ذَرَّةٍ ﴾ [النساء] و﴿ذِرَاعًا ﴾ [الحاقة] و﴿أَنذَرْتُكُمْ ﴾ [فصلت].

وإذا أتى بعدها قاف فلا بد من ترقيقها، وإلا صارت ظاء، نحو قوله: ﴿ذَاقُوا ﴾ [الأنعام] و﴿الْأَذْقَانِ ﴾ [يس]»[1].

وأكد علماء التجويد على المحافظة على ترقيق الميم والباء، إذا جاورت حرفاً مستعلياً بوجه خاص، ليسلما من التفخيم، وهما وإن كانا من أصوات الشفتين فإنهما يتأثران بوضع اللسان عند النطق بهما، فإذا تصعد أقصى اللسان شيئاً قليلاً عند النطق بهما حصل لهما التفخيم، لا سيما إذا جاءت بعدهما الفتحة أو الألف.

قال القسطلاني (ت٩٢٣هـ): «اعلم أن الميم إذا تحركت وجب التحفظ بترقيقها خصوصاً إذا أتى بعدها حرف مفخم كمِيمَيْ ﴿مَخْمَصَةٍ ﴾ [المائدة]، لمجاورة الأولى الخاءَ والثانية الصاد، ومثل ميم ﴿مَرَضٌ ﴾ [البقرة] ﴿وَمَا اللَّهُ ﴾ [البقرة]، وما أشبه ذلك. وإذا أتى بعدها ألف نحو: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [البقرة] كان التحرز من التفخيم آكد»[2].

وقال أيضاً: «اعلم أن الباء إذا أتى بعدها حرف مفخم كباء ﴿وَبَاطِلٌ ﴾ [الأعراف] ﴿وَبَصَلِهَا ﴾ [البقرة] وجب التحفظ بترقيقها، خصوصاً إذا وليها حرفان مفخمان كباء ﴿وَبَرْقٌ ﴾ [البقرة] وشبهه. فإن حال بينها وبين الحرف المفخم حرف كـ﴿بِالْبَاطِلِ ﴾ [البقرة] ﴿وَالْأَسْبَاطِ ﴾ [آل عمران] كان التحفظ بترقيقها أبلغ»[3].

---

(١) التمهيد ص١٣٣، وانظر: الداني: التحديد ص١٤٤، ومكي: الرعاية ص١٩٩.

(٢) اللآلىء السنية ١٧ظ.

(٣) المصدر نفسه.

٣- الأصوات التي يلحقها الترقيق والتفخيم:

الراء واللام يتميزان من بين أصوات العربية الجامدة بأنهما يرققان في بعض المواقع ويفخمان في مواقع أخرى، أما الألف وهو المدة في مثل (كان) فإنه من الأصوات الذائبة، ويتبع في ترقيقه وتفخيمه حالة الصوت الذي يسبقه، وسوف نوضح لك أمره في المبحث الخاص بالأصوات الذائبة. وإليك الآن تفصيل حالات الراء واللام في الترقيق والتفخيم.

١- الراء:

ذهب بعض علماء التجويد إلى أن أصل الراء هو التفخيم، وقال بعضهم هو الترقيق، «وقال آخرون: ليس للراء أصل في التفخيم ولا في الترقيق، وإنما يَعرضُ لها ذلك بحسب حركتها، فتُرَقَّقُ مع الكسرة لتسفلها، وتُفَخَّمُ مع الفتحة والضمة لتصعدهما، فإذا سكنت جرت على حكم المجاورِ لها»[1].

وتعليق أمر الترقيق والتفخيم في الراء بحركتها إن كانت متحركة، وبحركة ما قبلها إن كانت ساكنة، أمر صحيح وذلك لأن التفخيم ينشأ عن تصعد أقصى اللسان وهو ما يحدث مع الضمة والفتحة ولو قليلاً، والترقيق يحدث حين يسترخي اللسان أو يكون العمل بمُقَدَّمِه كما في الكسرة. ومِنْ ثَمَّ درس علماء التجويد أحكام الراء بحسب حركتها وسكونها على هذا النحو[2]:

الحالة الأولى: الراء المتحركة:

إذا كانت حركة الراء هي الكسرة فإنها ترقق مطلقاً، سواء كانت الكسرة لازمة أم عارضة، وسواء وقع قبلها أو بعدها صوت مرقق أم مفخم.

---

(١) ابن الجزري: النشر ١٠٨/٢.

(٢) انظر في أحكام الراء: الداني: التحديد ص١٥٤-١٥٩، والتيسير (له) ص٥٧، وابن الجزري: النشر ١٠٨/٢-١٠٩، والوفائي: الجواهر المضية ٤٦و-٤٩ظ، والمرعشي: جهد المقل ص١٧٣-١٧٩.

فمثال الكسرة اللازمة:

﴿ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ ﴿٢﴾ ﴾ [قريش].

﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال].

﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحديد].

﴿ فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ص].

﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ ﴾ [القيامة].

﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنفال].

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يس].

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [البقرة].

ومثال الكسرة العارضة:

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴿٤٤﴾ ﴾ [إبراهيم].

﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء].

﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النساء].

والراء في المثالين الأخيرين مكسورة كسرة عارضة، وهي إلى جانب ذلك مسبوقة بكسرة أيضاً.

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنعام].

وإذا كانت حركة الراء الضمة أو الفتحة فإنها تفخم مطلقاً:

مثال الراء المفتوحة:

﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [البقرة].

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ﴾ [النحل].

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [فصلت].

ومثال الراء المضمومة:

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [السجدة].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴾ [يوسف].

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴾ [الواقعة].

وإذا كانت الراء المتحركة متبوعة بصوت ذائب طويل من جنس حركتها، وهو ما يسميه علماء التجويد بحرف المد، فإن حكم ترقيق الراء وتفخيمها لا يتغير، فتكون مرققة قبل ياء المد، ومفخمة قبل ألف المد وواو المد، مثال ذلك:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ [آل عمران].

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم].

وإذا كانت الراء متحركة مشددة، وهي حينئذ راءان: الأولى ساكنة والثانية متحركة، فإنها تأخذ حكم الراء المتحركة غير المشددة، فترقق مع الكسرة وتفخم مع الضمة والفتحة، مثال ذلك قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾ [الأنفال].

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ﴾ [البقرة].

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ [العلق].

الحالة الثانية:

يعتمد تفخيم الراء الساكنة وترقيقها على حركة ما قَبْلَها، فإذا كانت تلك الحركة فتحة أو ضمة فإنها تُفخَّمُ بلا خلاف، مثال ذلك قوله تعالى:

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحزاب].

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [السجدة].

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [آل عمران].

وإذا كانت الحركة التي تسبق الراء كسرة فإنها ترقق إذا كانت الكسرة لازمة غير عارضة، أي أصلية من بنية الكلمة. وذلك في مثل قول الله تعالى:

﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الشعراء].

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة].

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر].

﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ ﴿١١٩﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف].

﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [هود].

﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [هود].

وإذا كانت الراء ساكنة وقبلها كسرة لازمة وجاء بعد الراء صوت مُستعلٍ فإن الراء تكون مفخمة بتأثير ذلك الصوت، ولا أثر للكسرة التي تسبق الراء حينئذ، وذلك في مثل قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [النبأ].

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر].

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة].

وتفخيم هذه الراء مما أجمع عليه القراء وأهل الأداء[1]، فإذا كان صوت الاستعلاء الذي يلي الراء الساكنة المسبوقة بكسرة لازمة مكسوراً وذلك في مثل (فِرْقٍ) في قول الله تعالى: ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء] فمنهم مَن فخَّمها نظراً إلى صوت الاستعلاء، ومنهم مَن رقَّقها للكسرة التي فيه مع وجود الكسرة قبل الراء، وهو الراجح، فإذا وقفت على (فِرْق) كان التفخيم هو الوجه[2].

أما إذا كانت متحركة وسكنت لأجل الوقف فإنها تعامل معاملة الراء الساكنة في غير الوقف، فترقَّقُ إذا كانت الحركة التي تسبقها كسرة وتفخم إذا كانت ضمة أو فتحة، وحروف المد قبل الراء الموقوف عليها بالسكون مثل الحركات في ذلك، نحو قوله تعالى:

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَـٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾ [القمر].

﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَـٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الطور].

---

(١) المرعشي: جهد المقل ص١٧٦.

(٢) انظر: خالد الأزهري: الحواشي الأزهرية ص٢٢، والوفائي: الجواهر المضية ٤٩ظ، والمرعشي: جهد المقل ص١٧٧.

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾ [الملك].

فالقارئ إذا وقف على رؤوس الآيات السابقة فإن حكم الراء في الترقيق والتفخيم يتبع الحركة التي تسبق الراء، فإذا كانت كسرة أو ياءَ مَدٍّ كانت مرققة، وإذا كانت فتحة أو ضمة، أو ألفاً أو واوَ مدٍّ كانت مفخمة، بصرف النظر عما كانت عليه قبل الوقف. فكلمة (الطور) مثلاً تكون راؤها مرققة في الوصل، لكنها تفخم عند الوقف عليها، كذلك (قدير) مفخمة في الوصل، وتكون مرققة عند الوقف.

فإذا كان قبل الراء الموقوف عليها صوتٌ ساكن فإن الراء تتأثر بالحركة التي قبل ذلك الصوت، فإذا كانت كسرة رُقِّقَتِ الراء، وإذا كانت ضمة أو فتحة فُخِّمَتْ، وذلك في نحو قوله تعالى:

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۝٧٢ ﴾ [يونس].

﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۝١٥٩ ﴾ [آل عمران].

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ ۝٢٠٥ ﴾ [الأعراف].

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ ﴾ [العصر].

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ۝٩ ﴾ [الحجر].

﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۝٧٣ ﴾ [طه].

﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ ۝٦٩ ﴾ [يس].

﴿ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ ۝٥٦ ﴾ [غافر].

وإذا كان الصوت الساكن المتخلل بين الحركة والراء ياءً قبلها فتحة فإن الراء تكون مرققة، وذلك لما في الياء من اللين، نحو قوله تعالى:

﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۝٧٦ ﴾ [النحل].

و﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشعراء].

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سبأ].

وإذا كان الصوتُ الساكن المتخلل بين الكسرة والراء الساكنة في الوقف صوتَ استعلاء نحو: ﴿ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يوسف]، و﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [سبأ] «فإن أهل الأداء اختلفوا في ترقيق الراء حينئذ، فمن اعتدَّ بحرف الاستعلاء فخمها ومن لم يعتد به رققها»[1]. وذلك في الوقف، أما في الوصل فإن راء (مصر) مفخمة بلا خلاف، وراء (القطرِ) مرققة بلا خلاف.

ويمكن أن يُلَخَّصَ موضوع ترقيق الراء وتفخيمها بالأمور الآتية:

١- الراء المتحركة إذا كانت مكسورة فهي مرققة وإذا كانت مفتوحة أو مضمومة فهي مفخمة.

٢- الراء الساكنة تفخم بعد الفتحة والضمة، وترقق بعد الكسرة، إذا لم تكن عارضة، ولم يقع بعد الراء صوت استعلاء.

٣- الراء الموقوف عليها بالسكون تتبع الحركة التي قبلها، فترقق بعد الكسرة وتفخم بعد الضمة والفتحة.

ب- اللام:

الأصل في نطق اللام في العربية أن تكون مرققة، وتُفَخَّمُ في اسم (الله) المعظم فقط، إذا سُبِقَ بضمة أو فتحة، وذلك في نحو قوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحزاب].

والألف وواو المد في ذلك مثل الفتحة والضمة في إيجاب التفخيم نحو:

---

(١) المرعشي: جهد المقل ص١٧٨.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾ [العنكبوت].

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر].

﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرعد].

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [البقرة].

فإذا كان قبل اسم (الله) تعالى كسرةٌ أو ياءُ مدٍّ فإن لامه تكون مرققة على قياس نطق اللام في بقية الكلمات، وذلك نحو:

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة].

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحج].

و﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [التحريم].

وإذا جاورت اللام المرققة لاماً مفخمة وجب بيان المرققة وتخليصها حتى لا يلحقها التفخيم، وكذلك إذا وقعت قبل صوت مفخم، نحو:

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحزاب].

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴿٥١﴾ ﴾ [النحل].

﴿ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النساء][1].

---

(١) السعيدي: التنبيه على اللحن ص٢٧٧، ومكي: الرعاية ص١٦٥، والداني: التحديد ص١٦١، وابن الجزري: التمهيد ص١٥٤.

المبحث الثاني

الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب

الخاصة بالأصوات الذائبة

الأصوات الذائبة في اللغة العربية هي الحركات الثلاث: الفتحة والضمة والكسرة، وحروف المد المتولدة عنها: الألف وواو المد وياؤُهُ. وقد أولى علماء التجويد عناية كبيرة بهذه المجموعة من الأصوات، وحَضُّوا على وجوب المحافظة على مقاديرها في أثناء النطق، وكذلك بَيَّنُوا ما يلحق هذه الأصوات من مظاهر التأثر بمجاورة غيرها في التركيب.

وقبل أن نتحدث عما يلحق هذه الأصوات من تأثر بغيرها في النطق ننقل بعض النصوص التي تُوَجِّهُ عناية مبتغي التجويد إلى بعض الصور النطقية التي تحتاج إلى عناية خاصة، من ذلك قول القرطبي الذي يعد قانوناً صوتياً في كيفية نطق الحركات: «الذي ينبغي أن يعتمده القارئ من ذلك أن يحفظ مقادير الحركات والسكنات، فلا يُشبع الفتحة بحيث تصير ألفاً، ولا الضمة بحيث تخرج واواً، ولا الكسرة بحيث تتحول ياء، فيكون واضعاً للحرف موضع الحركة، ولا يُوهِنُهَا ويَختلسها ويبالغ فَيَضْعُفُ الصوتُ عن تأديتها ويتلاشى النطق بها وتتحول سكوناً»[1].

ومن التراكيب التي وجَّه علماء التجويد نظر الدارس إليها اقتران الواو والياء الجامدتين بإحدى الحركات الثلاث أو بأحد حروف المد الثلاثة، من ذلك[2]:

---

(١) الموضح ص١٩١، وانظر نحوه: الداني: التحديد ص٩٧.

(٢) انظر: السعيدي: التنبيه على اللحن ص٢٦٦-٢٧٢، والداني: التحديد ص١٣٤، والقرطبي: الموضح ص١٩٨.

١- إذا انفتحت الياء وما قبلها مكسور، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا ۝٧١﴾ [البقرة]، ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ ۝٩٢﴾ [النساء] و﴿ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية] و﴿ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [الحاقة]، و﴿خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة]، وما أشبهها، ينبغي أن تُخْتَلَسَ الحركةُ التي قبل هذه الياءات اختلاساً خفيفاً[١]. ولا تُشبَعُ كسرتها فتصيرَ في اللفظ ياءين، فإنك إذا أشبعت كسرتها قلت: لا شِيْيَة فيها، ودِيْيَةٌ وحامِيْية، لفظتَ بياء ساكنة بعدها ياء مفتوحة، وذلك غير جائز عند أهل الأداء، فيجب أن تكسر الصوت الذي قبل الياء في هذه الكلمات وأشباهها بمقدار الكسرة في العين من (عِدَة)، والزاي من (زِنة)، والصاد من (صِلة).

٢- إذا انفتحت الواو وما قبلها مضموم كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ ۝٣٣﴾ [التوبة]، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] و﴿لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨﴾ [الحج] و﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦١﴾ [الأنفال]، ينبغي أن تكون الضمة قبل هذه الواوات وما أشبهها مختلسة غير مشبعة، ولا يُزَادُ على لفظها فتزول عن حدِّ الاختلاس إلى الإشباع، فإنها إذا أشبعت الضمة قبلها صارت في اللفظ واوين، الأولى ساكنة والثانية مفتوحة، وذلك نحو: هُوْوَ الذي، وقل هُوْوَ الله أحد، ولَهُوْوَ خير الرازقين، وذلك غير جائز.

وكذلك إذا كانت الواو مشددة وقبلها ضمةٌ تختلس الضمة قبلها ولا يزاد على لفظها، كقوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات]، فتحرك ضمة هذه القاف بمقدار ضمة القاف من قولك: قُدَّ، والصاد من قولك: صُدَّ.

٣- إذا اجتمعت واوان الأولى ساكنة مضموم ما قبلها والثانية مفتوحة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ ۝٧٢﴾ [الأنفال]، و﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران] يجب أن تُشبَع ضمة الحرف الذي قبل هذه

(١) الاختلاس هنا ليس معناه إذهاب معظم الحركة، إنما المقصود به هو الإتيان بالحركة على حقها، لأنها في موقع إذا لم يُتَحَفَّظْ فيه بنطقها طغى بها اللسان وأتى بها مشبعة حتى يتولد منها حرف، وهو غير جائز.

الواوات، وتُمكَّن الواوُ الأولى تمكيناً جيداً، وتُخَفَّفَ الواوُ المفتوحة بعدها تخفيفاً حسناً لطيفاً، لئلا تزول عن حد التخفيف فتصير مثل ﴿عَفَواْ وَّقَالُواْ ﴾ [الأعراف]، حيث يجب الإدغام في مثل هذه الحالة، وذلك غير جائز في نحو ﴿آمنوا وهاجروا﴾ لأن الواو الأولى للمد (أي صوت ذائب) والواو الثانية صوت جامد، فإذا أدغمت الواو الأولى في الثانية ذهب المد الذي فيها وأدَّى ذلك إلى تغيير الألفاظ، وإنما يكون الإدغام في مثل: ﴿عَفَواْ وَّقَالُواْ ﴾ [الأعراف] و﴿عَصَواْ وَّكَانُواْ ﴾ [البقرة] و﴿ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ [الأنفال] وما كان مثله، لأن الواو الأولى والواو الثانية في هذه الأمثلة من جنس واحد.

٤- إذا اجتمعت ياءان الأولى ساكنة مكسور ما قبلها والثانية متحركة وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ ﴾ [السجدة] و﴿فِي يُوسُفَ ﴾ [يوسف] و﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ [الماعون] و﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ ﴾ [الناس] يجب أن تُشْبَعَ كسرة الحرف الذي قبل هذه الياءات، وتمكَّن تمكيناً جيداً، ويُلْفَظَ بالياء المفتوحة بعدها مخففة، لئلا تزول عن حد التخفيف.

☆ ☆ ☆ ☆

إن الأصوات الذائبة في اللغة العربية تتعرض في التركيب إلى التأثر بمجاورة الأصوات الأخرى، فربما تغيرت جروسها، وربما تغير طولها، فالحركة قد تحذف أو تزاد، وحرف المد قد يُقَصَّر أو يزاد في طوله. وقد لاحظ علماء التجويد تلك الحالات في تلاوة القرآن وأحصوها ووضحوا أسباب حصولها. ويمكن أن نتناول دراسة تلك الظواهر في مجموعتين: الأولى: ظواهر نوعية تتصل بتغير طبيعة الصوت الذائب وجرسه، والثانية: ظواهر كمية تتصل بتطويل الصوت الذائب وتقصيره.

أولاً: الظواهر النوعية:

إن تغير جروس الأصوات الذائبة في اللغة العربية بسبب مجاورة الأصوات الأخرى قليل، ويكاد ينحصر في الألف والفتحة، أما الضمة وواو المد والكسرة

وياء المد فالغالب عليها أن تكون مرققة حيث وقعت في التركيب[١].

إن نطق الألف يتم بدفع الهواء عبر الحنجرة فيهتز الوتران الصوتيان، ويكون الفم مفتوحاً في أثناء ذلك، واللسان راكد في قاع الفم، والشفتان مفتوحتان، وكذلك نطق الفتحة تقريباً، لكن هذا النطق يتأثر بمجاورة الأصوات الجامدة، بحيث يرتفع أقصى اللسان شيئاً قليلاً مع بعض الأصوات فيؤدي ذلك إلى تغير جرس الألف فيبدو مفخماً، بينما يحافظ اللسان على وضعه المحايد تقريباً مع أصوات أخرى فيكون الألف مرققاً.

وقد قرر علماء التجويد أن الألف تتبع ما قبلها في الترقيق والتفخيم فإذا وقعت بعد واحد من أصوات الاستعلاء كانت مفخمة، وإذا وقعت بعد بقية الأصوات كانت مرققة[٢]. ويكون قَدْرُ التفخيم على قَدْرِ الاستعلاء، فالأصوات المطبقة الأربعة: الطاء والضاد والصاد والظاء يكون تفخيم الألف بعدها أكثر من تفخيمه بعد بقية أصوات الاستعلاء وهي الغين والخاء والقاف.

ويمكن أن تدرك الفرق بين الألف المرققة والمفخمة من المقارنة بين نطق الألف في (طامَّة) ونطقها في (تامَّة) ونطقها في (قال) و(كال)، ونطقها في (صار) و(سار)، فالألف بعد الطاء مفخم، لأن الطاء مطبقة والتفخيم من موجباته الإطباق، والألف بعد التاء مرققة، لأن التاء ليس من أصوات الاستعلاء الذي هو سبب للتفخيم. وكذلك الألف مفخمة في (قال وصار) وهي مرققة في (كال وسار).

والأصوات المرققة في العربية تسعة عشر صوتاً، هي ما عدا أصوات الاستعلاء السبعة، واللام والراء يكونان مرققين أو مفخمين بحسب موقعهما في الكلام[٣]. وحكم الفتحة في ذلك حكم الألف، ولكن الترقيق والتفخيم أكثر

---

(١) ينظر: المرعشي: جهد المقل ص١٥٤، وبيان المقل (له) ١٨ظ.

(٢) ابن الجزري: النشر ١/ ٢١٥، وعلي القاري: المنح الفكرية ص٢١-٢٢.

(٣) ينظر: ابن بلبان: بغية المستفيد ٦١و.

ظهوراً في الألف لطول الصوت به.

وإذا تتابع في الكلمة ألفان فينبغي أن يُعْطَى كلُّ واحد منهما حَقَّهُ من التفخيم والترقيق، وذلك نحو الألفات في قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [النبأ].

فالكلمات (مرصادا، وأحقابا، وشرابا، وغساقا، ووفاقا) إذا وقفتَ عليها وقفتَ بألف عوض التنوين المنصوب، فيجتمع في كل كلمة منها ألفان واحد منهما حكمهُ الترقيق. والآخر حكمه التفخيم، فينبغي أن يُعطى كل واحد منهما حَقَّهُ ويُمَيَّزَ عن الآخر في النطق حتى يُعْرَفَ المرققُ من المفخم.

ففي كلمة (مِرْصَادا) الألف الأولى مفخمة لوقوعها بعد صوت مفخم وهو الصاد، والألف الثانية مرققة لوقوعها بعد الدال وهو صوت مرقق.

وفي كلمة (أحقابا) الألف الأولى مفخمة لوقوعها بعد صوت القاف وهو مفخم لأنه من أصوات الاستعلاء، والثانية مرققة بعد الباء.

وفي كلمة (شرابا) الألف الأولى مفخمة لمجيئها بعد الراء المفخمة، والثانية مرققة لمجيئها بعد الباء، وهكذا في بقية الأمثلة.

ثانياً: الظواهر الكمية:

إن كل صوت لغوي له طول معين، يحرص الناطقون باللغة على الالتزام به في نطقهم بشكل عرفي لا إرادي في الغالب، وإذا أخلَّ الناطق بشيءٍ من ذلك أدرك السامعون تقصيره في توفية النطق حقه، والأصوات الذائبة أكثر أصوات اللغة قابلية على الامتداد والطول ولكنها مع ذلك ذات مقادير محفوظة.

إن أصوات المد الثلاثة: الألف والواو والياء الذائبتين تستغرق ضعف[1] ما يستغرقه نطق الحركات الثلاث: الفتحة والضمة والكسرة، في اللغة العربية، في النطق الطبيعي، وقد تتعرض هذه الأصوات للتأثر بمجاورة الأصوات الأخرى فيَقْصُرُ صوت المد أو يَطُولُ، وقد يضيف الناطق حركة في بعض التراكيب، وإليك تفصيل الحالات التي تحصل للأصوات الذائبة في اللغة العربية عامة وتلاوة القرآن الكريم خاصة.

١- زيادة حركة:

هناك قانون ثابت في العربية يمنع التقاء الساكنين، أي تتابع صوتين جامدين ليس بينهما حركة، إلا في حالتين هما: الوقف في مثل (نستعينْ) و(عَهْد)، ووجود صوت المد في مثل (دابَّة). فإذا عرض التقاء الساكنين الجامدين في غير ذلك من التراكيب فإن الناطق يضيف حركة بينهما. وقد تكون هذه الحركة ضمة في مثل قول الله تعالى:

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ ﴿٢٣٧﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [لقمان].

وقد تكون الحركة فتحة في مثل قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة].

و﴿ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ ﴿٩٤﴾ ﴾ [المائدة].

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحجر].

---

(١) هذا الأمر تقريبي لأن قياساً دقيقاً لم يجر بعد للأصوات الذائبة في العربية، قال الدكتور سلمان العاني: «إن الحركة الطويلة تبدو ضعف طول الحركة القصيرة» (التشكيل الصوتي ص١٦٣).

وقد تكون الحركة كسرة في مثل قوله تعالى:

﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ ﴾ [البقرة].

و﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ ﴾ [الإسراء].

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾ [المؤمنون].

﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ ﴾ [الأنعام].

و﴿ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾ [الأنفال].

والتنوين في حكم نون ساكنة، فإذا وَقَعَ بَعْدَهُ صوتٌ ساكنٌ أضاف الناطق كسرة بين التنوين والصوت الذي بعده، وهذه الكسرة ثابتة في النطق، وإن لم تكن مرسومة في الخط، فينبغي على الناطق أن يعتني بها حتى يوفيها حقها، سواء كانت حركة ما قبل التنوين فتحة أم ضمة أم كسرة، وذلك في نحو قوله تعالى:

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ [الأعراف].

﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ ﴾ [النساء].

﴿ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ ﴾ [البقرة].

فأنت ترى أن النطق في هذه الأمثلة يكون في الآية الأولى (مَثَلَنِ لْقومُ) وفي الثانية (ثلاثَتُنِ نْتَهو) وفي الثالثة (خَيْرَنِ لْوَصيةُ)، فإذا وقفت على الكلمة المنونة وقفت بالسكون على التنوين المرفوع والمجرور، وبالألف على التنوين المنصوب وتركت الكسرة المجتلبة للتخلص من التقاء الساكنين.

٢- تقصير صوت المد:

يصف علماء العربية وعلماء التجويد أصوات المد الثلاثة بأنها أصوات

ساكنة[1]، وهو وصف على المجاز، ومبني على صورة الخط لا حقيقة النطق، إذ هي حركة طويلة نتجت عن مد الصوت بالحركات الثلاث، فالألف من الفتحة، والواو من الضمة، والياء من الكسرة، وإذا وقعت هذه الأصوات بين صوتين جامدين مثل قولك: (في البيت) فإن ذلك يكون مستثقلاً في النطق، استثقال التقاء الساكنين، ومن ثم فإن الناطق هنا يُقَصِّرُ صوت المد، عكس ما يحصل عند التقاء الساكنين من تحريك الصوت الأول، فيكون النطق حينئذ (فِلْبَيْت)، وهذا قانون عام في اللغة العربية، ونجد من أمثلته في القرآن الكريم الشيء الكثير.

فمن أمثلة تقصير الألف قول الله تعالى:

﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۝١٨٧﴾ [البقرة].

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۝٩٥﴾ [المائدة].

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج].

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة].

فيكون النطق في الآية الأولى (إِلَلَّيلِ) وفيها تقصير واو المد أيضاً في (أتِمُّصْصِيام) وفي الثانية (عَفَلْلاه) وفي الثالثة (تَعْمَلأبْصَارُ) و(تَعْمَلْقُلُوبُ) وفي الرابعة (هُدَلْلِلْمتقين).

وتقصير الألف يجري في جميع الأمثلة سواء كان من أصل الكلمة كالأمثلة السابقة أم كان ضمير الاثنين نحو قوله تعالى:

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ۝١٨٩﴾ [الأعراف].

---

(1) سيبويه: الكتاب ١٩٧/٤ و٢٩٠، وابن جني: سر صناعة الإعراب ٣١/١، ومكي: الرعاية ص١٠١، وابن الجزري: التمهيد ص١٠٢.

﴿ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النمل].

ومن أمثلة تقصير الواو قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة].

﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرعد].

ومن أمثلة تقصير الياء قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٦﴾ ﴾ [طه].

وإذا وقف القارئ على الكلمة التي في آخرها صوت المد ولم يصلها بما بعدها فإنه حينئذ ينطق بصوت المد تامًّا غير منقوص لأن العلة التي من أجلها قُصِّرَ قد زالت بالوقف، فإذا عاد وَوَصَلَ قراءة الكلمة التي فيها صوت المد بما بعدها وجب تقصير صوت المد في الأمثلة السابقة وما أشبهها.

٣- تطويل صوت المد:

لصوت المد في اللغة العربية طُولٌ معين لا تقومُ ذاتُ الحرف إلا به، وقد سماه علماء التجويد بالمد الطبيعي أو الذاتي أو الأصلي(١). ويكون في الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها بحسب عبارة علماء التجويد.

ويزداد طول أصوات المد عن المد الطبيعي في التركيب بمجاورة أصوات معينة، وقد سمى الداني المد الزائد على المد الطبيعي في هذه الحالة بالمد

---

(١) الداني: التحديد ص١٠٠، وابن الجزري: التمهيد ص١٧٣.

المُتكلَّف[1]. وسماه ابن الطحان بالعرضي[2]، وسماه آخرون بالمد الفرعي[3].

وسبب إطالة أصوات المد أحد شيئين، هما: الهمزة والسكون سواء أكان خفيفاً أو مشدَّداً، إذا وقعا بعد أصوات المد[4]، ويعنون بالسكون الصوت الساكن. وقد أكثر بعض المتأخرين من تقسيم المدود على أنواع كثيرة من غير ضرورة يقتضيها عرض الموضوع[5]. وقد قال الوفائي في تلك الأنواع: «ومرجع ما عُدَّ منها زيادةً على المد الطبيعي إلى الهمزة والسكون»[6]. والطريق الأيسر لدراسة أنواع المد هو تقسيمها بحسب السبب الموجب للمد الزائد وهو وقوع الهمزة أو الصوت الساكن بعد صوت المد.

أ- المد بسبب الهمزة:

إذا وقعت الهمزة بعد أحد أصوات المد فإن ذلك يوجب إطالة صوت المد، سواء كان صوت المد والهمزة في كلمة، أو كان صوت المد في كلمة والهمزة في كلمة أخرى، ويسمى المد في الحالة الأولى بالمتصل وفي الحالة الثانية بالمنفصل[7].

فمثال المد المتصل قوله تعالى:

﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [البقرة].

---

(١) التحديد ص١٠٠.

(٢) مرشد القارىء ص٥٠، وابن الجزري: التمهيد ص١٧٣.

(٣) ينظر: زكريا الأنصاري: تحفة نجباء العصر ص٦٢.

(٤) مكي: الرعاية ص١٣٤، والداني: التحديد ص١٢٢، والقرطبي: الموضح ص١٢٨، والمرادي: المفيد ص٦٤.

(٥) ينظر: كتابنا: الدراسات الصوتية ص٥٣٢-٥٣٤.

(٦) الجواهر المضيئة ٨٢ظ.

(٧) ابن الجزري: التمهيد ص١٧٣-١٧٤، وزكريا الأنصاري: تحفة نجباء العصر ص٦٣.

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾ [النساء].

﴿ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [يونس].

ومثال المد المنفصل قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴿٤﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [يوسف].

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [النحل].

﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [هود].

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء].

وإذا كان صوت المد متأتياً من إشباع ضمة ضمير الغائب المضموم والمكسور فإنه يأخذ طريقة النطق ذاتها، وإن لم يكن مرسوماً، فيُمَدُّ مَدّاً زائداً إذا وقعت بعده همزة، وذلك في نحو قوله تعالى:

﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ ﴿٥٢﴾ ﴾ [التوبة].

﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [هود].

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [البقرة].

ومثل ذلك أيضاً صوتُ المد اللاحق لهاء اسم الإشارة المؤنثة في مثل

قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء].

أما مقدار طول صوت المد إذا زِيدَ في مده قبل الهمزة فإن القراء مجمعون على إشباع مد المتصل، ولذلك سماه بعض علماء التجويد بالمد الواجب، واختلفوا في المنفصل فبعضهم يمده كالمتصل، وبعضهم يقصره فيأتي بصوت المد على صيغته، ولذلك سماه بعضهم بالمد الجائز، والمشهور من عاصم أنه يمد مداً وسطاً قدَّره بعضهم بثلاث ألفات، وقد رُوِيَ عن عاصم في المنفصل المد والقصر. ولعلماء الأدلة والقراء في مراتب المدود كلام يطول ذكره[1].

ب- المد بسبب الصوت الساكن:

إذا وقع بعد صوت المد صوت ساكن فإن ذلك يؤدي إلى إطالة صوت المد، والصوت الساكن يكون من أصل الكلمة، مخففاً أو مشدداً، ويسمى المد حينئذ لازماً، ويكون عارضاً للسكون فيسمى جائزاً[2].

١- **المد اللازم**: وهو أن يقع بعد صوت المد صوت ساكن لازم في الوقف والوصل. وقد يكون الساكن مشدداً، وقد يكون مخففاً، فمن أمثلة اللازم المشدد قوله تعالى:

﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ ﴾ [الحاقة].

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝٣٤ ﴾ [النازعات].

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ ﴾ [عبس].

---

(١) ينظر: ابن الجزري: التمهيد ص١٧٣-١٧٤، والنشر (له) ١/٣١٣-٣٣٥، وابن بلبان: بغية المستفيد ٥٦ظ، والمرعشي: جهد المقل ص٢١٥، والحنبلي: فيض الودود ص٤.

(٢) الداني: التحديد ص١٢٣-١٢٤، وابن الجزري: التمهيد ص١٧٤-١٧٥، وزكريا الأنصاري: تحفة نجباء العصر ص٦٤، والمرعشي: جهد المقل ص٢١٨.

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة].

﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنفال].

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴿٦﴾ ﴾ [هود].

﴿ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحجر].

﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ ﴿١٩﴾ ﴾ [الملك].

وإذا دخلت همزة الاستفهام على ما فيه أداة التعريف فإن همزة الوصل من (أل) المعرِّفة تسقط وتخلفها ألف مد للفرق بين الخبر والاستفهام فتقع ألف المد حينئذ قبل صوت ساكن مشدد أو مخفف فيجب إطالة صوت المد لذلك.

فمثال وقوع ألف المد قبل ساكن مشدد قوله تعالى:

﴿ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤].

﴿ قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يونس].

﴿ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النمل].

فمثال وقوع ألف المد قبل ساكن مخفف قوله تعالى:

﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يونس].

﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يونس].

ومن وقوع صوت المد قبل ساكن مخفف ما جاء من أسماء الحروف المقطعة في أوائل السور مثل: لامْ، وميمْ، وسينْ، وكافْ، وقافْ، وصادْ، ونونْ، إذا نطقت بها ساكنة. وقد يعرض لبعضها التشديد في مثل (الٓمٓ) التي يكون نطقها (أَلِفْ لَآمْ مِيم) فيدغم الميمان لأنهما مِثلان والأول منهما ساكن

فيحصل التشديد.

أما (عَيْن) في قوله تعالى ﴿كهيعص﴾ فإن الياء فيه ليست صوت مد لانفتاح ما قبلها فهي صوت جامد فيه لين، فينبغي عدم المبالغة بإطالة الصوت بها حتى تصير مثل ياء المد، وإنما يُوفَّى اللين الذي في الياء حقه من النطق. أما ما كان من حروف الهجاء المقطعة في أوائل السور على حرفين مثل را، وطا، وها، ويا، وحا، فإنها مقصورة لا مَدَّ فيها.

أما مقدار إطالة صوت المد في ما وقع بعده ساكن لازم فقد قال محمد المرعشي: «اتفق القراء في مد هذا القسم بجميع ضروبه مدّاً زائداً مشبعاً قدراً واحداً... والإشباع هنا قدر ثلاث ألفات»[(١)].

وقد استخدم بعض علماء التجويد المتأخرين مصطلح المد اللازم الكلمي المثقل للمد في مثل (الحاقَّة)، والمد اللازم الحرفي المثقل في مثل (ألف لامْ مِيم)، والمد اللازم الكلمي المخفف في مثل (ءَآلآن) والمد اللازم الحرفي المخفف في مثل نونْ وصادْ وقافْ، ونحوها[(٢)].

٢- **المد الجائز**: وهو العارض للسكون، وذلك أن يقع بعد صوت المد صوت ساكن في الوقف دون الوصل. فإذا أدرجتَ القراءة زال السكون العارض وعاد المد طبيعياً في صوت المد، وهو ما لا تقوم ذات الصوت إلا به.

ومن أمثلة ذلك في الوقف:

(الرحيمْ) في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة].

و(نستعينْ) في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

---

(١) جهد المقل ص٢١٨.

(٢) ينظر: النابلسي: كفاية المستفيد ١٤ظ، والمرعشي: جهد المقل ص٢١٨، والوفائي: الجواهر المضية ٨٠و، ومحمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص١٣٦.

و(المفلحونْ) في ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة].

و(يعلمونْ) في ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ [البقرة].

و(الحسابْ) في ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٢٠٢﴾ [البقرة].

و(العبادْ) في ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧﴾ [البقرة].

أما مقدار إطالة صوت المد في هذه المواضع فإن لأهل الأداء من أئمة القراءة فيه ثلاثة مذاهب[1]:

الأول: إشباع المد كاللازم، ومقداره ثلاث ألفات.

الثاني: التوسط ومقداره ألفان.

الثالث: القصر ومقداره ألف واحدة وهو المد الطبيعي.

☆ ☆ ☆ ☆

ومما يتصل بالمد العارض للسكون الواو والياء الجامدتين إذا سكنتا بعد فتحة، ووقع بعدهما ساكن، سواء كان همزة أم غيرها. فالقراء متفقون في جواز المد وجواز تركه، وذلك لأن الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما زال عنهما معظم المد وصارا بمنزلة سائر الأصوات الجامدة التي لا مد فيها، وإنما سوَّغ إجراء المد فيهما ما اتصفا به من اللين الذي هو منزلة وسطى بين الأصوات الذائبة والجامدة، فمن أخذ بالمد نظر إلى ما فيهما من اللين، ومن تركه نظر إلى كونهما من الأصوات الجامدة، على أن من أخذ بالمد فيهما فإنه لا يبلغ به مقدار المد في أصوات المد حين تقع قبل همزة أو سكون، ولا يكون ذلك إلا في الوقف، أما في الوصل فلا مدَّ فيهما، ويسمى هذا النوع من المد بمد اللين[2].

---

(١) ينظر: ابن الجزري: النشر ١/ ٢٣٥، والمرعشي: جهد المقل ص٢٢١.

(٢) ينظر: ابن الجزري: التمهيد ص١٧٦، والنشر (له) ١/ ٣٤٦-٣٥٠، والمرعشي: جهد المقل ص٢٢٣-٢٢٦.

فمن أمثلة الهمزة الساكنة بعد الواو والياء قوله تعالى:

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النحل].

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الفرقان][1].

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴿١١٣﴾ ﴾ [البقرة].

و﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر].

و﴿ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر].

ومن أمثلة الساكن بعد الواو والياء غير الهمزة قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ ﴿٢٤٠﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل].

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال].

﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴿١١﴾ ﴾ [النساء].

٤- محاذير المد:

إن قابلية الأصوات الذائبة (أصوات المد) على الامتداد قد يخرج ذلك بها إلى حد الإفراط الذي يُغيِّرُ النطقَ الفصيحَ المأثور، وقد حَذَّرَ علماء الأداء من بعض الظواهر النطقية التي قد تغلب على أصوات المد على ألسنة بعض القراء مما لا أصل له في الرواية أو اللغة، ومن ذلك:

(١) (السَّوْء) بفتح السين: القبيح وفيه مد اللين، و(السُّوء) بضم السين كل ما يَغمُّ الإنسان، ومده واجب متصل.

أ- الإفراط في المد:

وهو أمر حذَّر منه علماء التجويد، فينبغي إعطاء المد الطبيعي حقه، وعدم المبالغة في المد الزائد للهمز أو السكون فإن أصوات المد تتمادى في النطق إذا لم يقف القارئ عند مقاديرها المروية عن القرَّاء[1].

قال علي القاري: «والحاصل أنه لا يجوز الزيادة على مقدار خمس ألفاتٍ، فما يفعله بعض الأئمة وأكثر المؤذنين فمن أقبح البدع وأشد الكراهة»[2].

وقال المرعشي في بيان غلطات القراء: «أكثر غلطاتهم أيضاً في زيادة المد الطبيعي في غير محل زيادة، وترك الزيادة في محلها، وإحداث مد فيما ليس فيه مد أصلاً»[3].

ب- ترعيد المد:

وهو أن يأتي القارئ بالمد مضطرباً كأنه يرتعد من برد أو ألم[4]. وهو أمر حذَّر العلماء من وقوعه أو الركون إليه[5].

وقد قال السعيدي: «ومما يُحْفَظُ أيضاً ترعيد المدات في مثل قوله تعالى: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ [البقرة] و﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [البقرة] و﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ ﴾ [النساء] و﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ ﴾ [البقرة] وكذلك (السفهاء) و(الشعراء) و﴿مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمران]، و(جاء) و(شاء) وما أشبه هذه الحروف، تمد مدّاً حسناً مستوياً مستقيماً بلا ترعيد ولا تهزيز ولا اضطراب عند إخراجهن»[6].

---

(١) ينظر: ابن البناء: بيان العيوب ص٣٢ طبع في دار عمار، الأردن، والمرادي: المفيد ص٦٦.

(٢) المنح الفكرية ص٥٠.

(٣) جهد المقل ص٢٩٠.

(٤) القرطبي: الموضح ص٢١٢.

(٥) ابن البناء: بيان العيوب ص٣٢.

(٦) التنبيه على اللحن ص٢٨٢.

جـ- إشراب المد غُنَّةً:

المد يشبه صوت الغنة الجاري في الخياشيم، والفرق بينهما أن المد صوته يجري في الحلق والفم، فإذا لم يتحفظ القارئ عند النطق بأصوات المد قد يتسرب بعض النَّفَس إلى الخياشيم فتحدث غنة خفيفة مع أصوات المد وهو من اللحن الخفي الذي يجب أن تبرأ القراءة منه.

قال المرعشي: «إن الغنة لما أشبهت المد... يلائم إحداث الغنة مع تلفظ المد، ولذا يلفظُ بعض الناس المدَّ مصحوباً بالغنة، في مثل (نستعين) وهو لا يشعر بذلك، وهو لحن، وطريق معرفة حدوثها في مثل ذلك أن تلفظه مرة مع الإمساك على أنفك، ومرة بدونه، فإن اختلف صوت المد في الحالين فاعلم أنه مصحوب بها. وطريقُ الحذر منها منع النَّفَس الجاري مع المد من التجاوز إلى الخيشوم، وامتحان صوته بالإمساك على الأنف وتركه إلى أن يتعود تخليص المد عنها»[1].

---

(١) جهد المقل ص٣١١.

المبحث الثالث

الوقف والابتداء

إن القارئ به حاجة إلى تقسيم ما يتلوه إلى جمل وعبارات يقف عند نهاياتها، وذلك من ناحيتين:

الناحية الأولى: أن فهم المعنى يتوقف كثيراً على ذلك.

الناحية الثانية: أن الرئتين هما مصدر النَّفَس الذي به يحدث الصوت الإنساني يحتاج الناطق إلى إعادة مَلْئِهِما بالهواء ليتمكن من الاستمرار في النطق.

وقد أَوْلى علماء قراءة القرآن الكريم هذا الموضوع عناية كبيرة، وتناولوا قضاياه في أبواب أو كتب مستقلة[١]، وبحثوا الموضوع من جانبين، الأول: معرفة مواضع الوقف، والثاني: معرفة كيفية الوقف[٢].

---

(١) مثل: كتاب إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري، والقطع والائتناف للنحاس، والمكتفى في الوقف والابتدا للداني.

(٢) هناك ثلاثة مصطلحات يحسن أن تكون لديك معرفة بها، وهي الوقف والقطع والسكت.

فالوقف: هو قطع الصوت على آخر الكلمة زمناً يتنفس فيه القارئ عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض عنها، وهذا هو مدار علم الوقف والابتداء.

والقطع: هو انتهاء القراءة وانتقال القارئ إلى أمر آخر غيرها.

والسكت: هو قطع الصوت زمناً دون زمن الوقف عادة من غير تَنَفُّس، وذلك مثل سكت حفص فيما رواه عن عاصم على (عِوَجاً) و(مرقدنا) و(من) و(بل) في المواضع الأربعة الآتية: ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا (٢) ﴾ [الكهف]، و﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ (٥٢) ﴾ [يس]، و﴿ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ (٢٧) ﴾ [القيامة]، و﴿ كَلَّا بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٤) ﴾ =

أولاً: معرفة مواضع الوقف:

معرفة القارئ للمواضع التي يجوز فيها الوقف أو يمتنع أمر مطلوب في القراءة، وقد قال الداني: «إن التجويد لا يتحصل لقرَّاء القرآن إلا بمعرفة الوقف ومواضع القطع على الكلم»[1].

وقد قَسَّمَ علماء الوقف والابتداء المواضع التي يوقف عليها في القرآن على أربعة أقسام هي: الوقف التام، والوقف الكافي، والوقف الحَسن، والوقف القبيح، وهذه الأقسام تزيد أو تنقص بحسب مذاهب العلماء، وربما استخدم بعضهم مصطلحات أخرى لكنها تؤول إلى معاني المصطلحات المذكورة[2].

فالوقف التام: هو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، لأن ما بعده لا يتعلق به لا لفظاً، أي من ناحية الإعراب، ولا معنًى.

والوقف الكافي: هو الذي يحسن الوقف عليه أيضاً والابتداء بما بعده، غير أنَّ الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ.

والوقف الحَسَن: هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً.

والوقف القبيح: هو الذي لا يفهم معه المعنى لعدم تمام الجملة[3].

= [المطففين] فكان حفص يسكت على الألف من (عِوَجاً) سكتةً لطيفة من غير قطع ولا تنوين، ثم يقول: (قَيِّماً)، وكذلك كان يسكت على الألف من (مرقدنا)، ثم يقول: (هذا)، وعلى النون في (مَنْ)، ثم يقول: (راقٍ)، وعلى اللام في (بلْ) ثم يقول: (ران) من غير إدغام. (ينظر: ابن الجزري: النشر ١/ ٢٣٩، والمرعشي: جهد المقل ص٢٨٣).

(١) التحديد ص١٧٦.

(٢) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف ١/١٠٨، والداني: المكتفى ص١٠٦، وابن الجزري: التمهيد ص١٧٩، والسيوطي: الإتقان ١/ ٢٣٢-٢٣٦.

(٣) ينظر: الداني: المكتفى ص١٠٧-١١١.

فالوقف التام في سورة الفاتحة مثلاً هو عند قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ و﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ و﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة]. والوقف على قوله: (الحمدُ) قبيح، لأنه مبتدأ يحتاج إلى الخبر، والوقف على (الحمدُ لله) حسن، وذلك لمجيء الخبر، لكن ما بعده متعلق به، لأن قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ صفات (لله)، والصفة متعلقة بالموصوف. وهكذا يمكنك أن تطبق ضوابط الوقف على ألفاظ سورة الفاتحة وبقية آيات الذكر الحكيم.

ويجوز للقارئ أن يقف على رؤوس الآيات، حتى مع تَعلُّقِ ما بعدَها بما قبلَها، وذلك لورود السُّنَّة النبوية بذلك[1]. وكذلك يجوز للقارئ أن يقف حيث انقطع نَفَسه للاضطرار، ولكن إذا كان ما بعد الكلمة التي وقف عليها متعلقاً بما قبلها تعلقاً يؤدي قطعهُ إلى الإخلال بالمعنى وجب على القارئ أن يرجع إلى تلك الكلمة أو ما قبلها ليكون ابتداؤُه من موضع لا يُخِلُّ بالمعنى.

والذي يلزم القراء أن يَتجنَّبُوا الوقف عليه أن لا يفصلوا بين العامل وما عَمِلَ فيه، كالفعل وما عَمِلَ فيه من فاعل ومفعول وحالٍ وظرف ومصدر، ولا يفصلوا بين الشرط وجوابه، والأمر وجوابه، والمبتدأ وخبره، والصلة والموصول، والصفة والموصوف، والبدل والمُبدلِ منه، والمعطوف والمعطوف عليه، والتوكيد والمؤكَّد، والمضاف والمضاف إليه، وكذلك على حروف المعاني دون ما بعدها[2].

وقد اصطلح علماء الوقف والابتداء على وضع رموز لأنواع الوقف، فالوقف التام علامته (م)، والكافي (ك)، والحسن (ح). واستخدم بعض العلماء رموزاً أخرى تبعاً للمصطلحات التي استعملها، ولعلك تلاحظ في المصاحف المطبوعة تلك الرموز التي تُوَضِّحُ دلالاتُها في آخر المصحف عادة، فهذه الرموز ليست من نص القرآن، وإنما هي علامات وُضِعَتْ لتساعد القارئ على ضبط قراءته،

---

(١) ينظر: الداني: المكتفى ص١١٦.

(٢) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف ١/١١٦، والداني: التحديد ٤٤و.

وهي قد تختلف من مصحف إلى آخر تبعاً لاختلاف اجتهاد العلماء والرموز التي يستخدمونها للتعبير عن أنواع الوقف.

ثانياً: معرفة كيفية الوقف:

للوقف أحكام تخص أواخر الكلمات الموقوف عليها تلزم معرفتها، والأخذ بها، وهذا مجمل تلك الأحكام[1]:

١- الأصل في الوقف أن يكون بالسكون:

فإذا كانت الكلمة الموقوف عليها ساكنة في الأصل فإنها تُتْرَكُ على حالها، وذلك مثل قوله تعالى:

﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [يونس].

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ [العلق].

﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [الضحى].

وإذا كانت الكلمة الموقوف عليها متحركة، منونةً أو غيرَ منونةٍ، فإن الوقف عليها يكون بالسكون، إلّا المنون المنصوب فإن له حكماً خاصاً به.

فمثال المنوَّنِ قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ ﴾ [المعارج].

فيكون وقفك بالسكون على (رحيمْ) و(واقعْ).

---

(١) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٢٨١ و٣٥٧، والداني: التحديد ص١٧١، والقرطبي: الموضح ص٢٠٦، وابن الجزري: التمهيد ص٢٢٠، وابن بلبان: بغية المستفيد ٦٣و، والمرعشي: جهد المقل ص٢٧٣.

ومثال غير المنون قوله تعالى:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾﴾ [آل عمران].

فتقف بالسكون على (القلوبْ) و(الميعادْ) و(البلادْ).

وكان بعض القراء يقف على ما آخره ضمة أو كسرة بالرَّوْم، وهو الإتيان ببعض الحركة، وعلى ما كان آخره ضمةٌ بالإشمام، وهو ضَمُّ الشفتين بعد الإسكان، إشارة إلى الضمة من غير تصويت، ولا نجد القراء الذين يقرؤون بقراءة عاصم اليومَ يأخذون بشيء من ذلك.

٢- الوقف على المنوَّن المنصوب بالألف:

وإذا كانت الكلمة الموقوف عليها منوَّنةً منصوبةً حَذَفْتَ التنوين ووقفتَ عليها بالألف، إلا إذا كان آخر الكلمة تاء التأنيث فإن التنوين يحذف ويوقف على الكلمة بالهاء الساكنة بدل التاء.

فمثال ما يوقف عليه بالألف قوله تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ].

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان].

ومثال ما يوقف عليه بالهاء قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾ [النازعات].

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾ [الغاشية].

وإذا كانت التاء من أصل الكلمة ولم تكن للتأنيث، وجاءت منونةً منصوبةً،

فإن الوقف عليها يكون بالألف، على قاعدة الوقف على المنون المنصوب، وذلك مثل قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴿٤١﴾ ﴾ [العنكبوت].

وإذا كانت التاءُ تاءَ التأنيث الساكنة التي تلحق آخر الفعل الماضي فإنها يوقف عليها بالتاء، كما هي في الوصل، وذلك نحو قوله تعالى:

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ ﴾ [الانشقاق].

٣- الوقف على الحرف المشدَّد:

على القارئ أن يعتني بالحرف المشدد عند الوقف عليه، لأنه بالوقف يكون قد التقى صوتان ساكنان، وهي حالة تقتضي عناية من الناطق، وذلك بالضغط على مخرج الصوت حتى يستوفي حظه من النطق، وينبغي الحذر من المبالغة في ذلك، لا سيما في بعض الأصوات المشددة مثل الراء التي ينبغي الحذر من إطلاق طرف اللسان في مخرجها[1]، وذلك في نحو قول الله تعالى:

﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾ [القيامة].

﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الحج].

﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الشورى].

وكذلك تلزم العناية بالصوت الموقوف عليه، لا سيما إذا كان ما قبله صوتاً ساكناً، فينبغي التحفظ من تحريكه، وذلك في مثل قوله تعالى:

﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر].

---

(١) ينظر: مكي: الرعاية ص٢٣٣، وابن الجزري: التمهيد ص٢٢٠.

٤- **الوقوف على مرسوم الخط**:

جاء عدد من الكلمات القرآنية مرسوماً في المصحف على صورةٍ لا تُطابقُ النطق، ومن ثَمَّ فإن على القارئ/ أن يراعي متطلبات النطق ويدعَ ما يجده مرسوماً مخالفاً للنطق، وذلك في مثل (الصلوٰة والزكوٰة والعلمـٰؤا) ونحوها، إلاَّ عدداً من الكلمات التي راعى فيها بعض القراء صورة الرسم، وذلك في الحالات الآتية:

أ- **تاء التأنيث**:

رسمت تاء التأنيث التي تلحق الأسماء بالتاء في عدد من المواضع، خاصة إذا كانت الكلمة التي هي فيها مضافة إلى ما بعدها، مثل: ﴿رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۝٥٦﴾ [الأعراف]، و﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ ۝١٠٣﴾ [آل عمران]، و﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ۝٨٥﴾ [غافر]، وما أشبه ذلك[1].

فكان عاصم يقف على هذه الكلمات بالتاء إذا عرض له الوقف عليها[2]. وما دامت هذه الكلمات مضافةً فالأَوْلى عدم تعمد الوقف عليها، بل يصلها القارئ/ بما بعدها، ويقف حيث يتم المعنى.

ب- **الياءات المحذوفة**:

لم يُرْسَمْ في خط المصحف عدد من الياءات التي هي في الأصل ملفوظ بها، وذلك نحو: ﴿ٱلدَّاعِ ۝١٨٦﴾ [البقرة]، و﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ ۝١٦﴾ [النازعات]، و﴿يُنَادِ ٱلْمُنَادِ ۝٤١﴾ [ق]، و﴿فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠﴾ [البقرة]، و﴿نَذِيرِ ۝١٧﴾ و﴿نَكِيرِ ۝١٨﴾ [الملك] وما أشبه ذلك.

كان عاصم في رواية حفص يحذف الياء وصلاً ووقفاً، اتِّباعاً لخط

---

(١) ينظر: الجهني: البديع ص٢٨٤-٢٨٨ طبع دار عمار/ الأردن، والداني: المقنع ص٧٧-٧٨، وكتابي: رسم المصحف ص٢٦٩.

(٢) المرعشي: جهد المقل ص٢٧٥.

المصحف، إلا في قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ﴾ [النمل]، فالياء غير مرسومة في المصحف، لكن عاصماً قرأها بياء مفتوحةٍ في الوصل، وياءٍ ساكنة في الوقف[1].

جـ- الألف المزيدة في الرسم:

قال المرعشي[2]: «ثم اعلم أنه قد يلحق الكلمة ألفٌ في الوقف بدون أن يكون بدلاً من شيء، وذلك عند حفص في سبعة مواضع:

الأول: (أنا) للمتكلم وحده حيث وقع، وافقه فيه جميع القراء[3].

والثاني: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف]، وافقه فيه أيضاً جميع القراء[4].

والثالث والرابع والخامس: ﴿ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ و﴿ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ و﴿ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب]، أثبت ابن كثير وحفص الألف في هذه المواضع في الوقف، وحَذَفاها في الوصل، والباقون منهم من أثبتها في الحالين ومنهم مَن حذفها في الحالين[5].

والسادس: ﴿سَلَٰسِلَا۠﴾ في [الإنسان: ٤] لم يُنوِّنه حفص في الوصل ووقف عليه بالألف في رواية، وبلا ألف بإسكان اللام في رواية أخرى[6].

والسابع: ﴿قَوَارِيرَا۠ ﴾ الأول في [الإنسان] لم ينوِّنه حفص في الوصل، ووقف عليه بالألف، وهو مرسوم بالألف في جميع المصاحف.

وأما قوله: ﴿قَوَارِيرَا۠ ﴾ الثاني في [الإنسان] فلم ينونه أيضاً في الوصل

---

(١) الداني: التيسير ص٧٠، والمرعشي: جهد المقل ص٣٣٠.

(٢) جهد المقل ص٢٧٥ طبع دار عمار/ الأردن.

(٣) الداني: التيسير ص٨٢.

(٤) المصدر نفسه ص١٤٣.

(٥) المصدر نفسه ص١٧٨.

(٦) المصدر نفسه ص٢١٧.

ووقف عليه بلا ألف بإسكان الراء، وهو في بعض المصاحف مرسوم بألف وفي بعضها بدون ألف، ومن القراء من نَوَّنَ (قواريرا) في الموضعين في الوصل، ووقف عليهما بالألف»[1].

٥- هاء الضمير[2]:

إن هاء الضمير للمفرد لا تكون مفتوحة أبداً، وتُضَمُّ أو تُكْسَرُ بحسب ما يجاورها من أصوات. فتكون مضمومة في ثلاثة مواضع:

أ- إذا كانت قبلها فتحة، نحو: ﴿لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴿١٧١﴾﴾ [النساء].

ب- إذا كانت قبلها ضمة، نحو: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر].

جـ- إذا كان قبلها ساكن غير الياء، نحو: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ﴿٨﴾﴾ [البينة].

وتكسر هذه الهاء إذا كانت قبلها كسرة أو ياء ساكنة، نحو: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة]، و﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة]، إلا في بعض المواضع التي قرأها عاصم في رواية حفص بخلاف ذلك، وهي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف]، قرأه بضم الهاء.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح]، قرأه بضم الهاء أيضاً.

٣- وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١، الشعراء: ٣٦] قرأ عاصم (أَرْجِهْ) بإسكان الهاء من غير همزة قبلها.

---

(١) المصدر نفسه ص٢١٧.

(٢) ينظر: الداني: التيسير ص١١١ و١٤٤ و١٦٨، والمرعشي: جهد المقل ص٢٤٤.

٤- وقوله تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل] قرأه بإسكان الهاء.

ويجب على القارئ إذا وقف على هذه الهاء أن يقف بالسكون، سواء كانت متحركة أم ساكنة، وسواء كانت حركتها مشبعة نحو: (لَهُ و) و(شرابُهُ و) و(لصاحبِهِ ي)، أم لم تكن كذلك نحو: (مِنهُ) و(فيهِ)، وإنما تُشبع حركة هذه الهاء إذا لم يكن ما قبلها ساكناً، فإن كان ساكناً كانت الحركة مختلسة.

٦- همزة القطع وهمزة الوصل:

الهمزة أحد حروف العربية الثمانية والعشرين، وهي نوعان[١]:

أ- **همزة الوصل**: وهي الهمزة التي تزاد في أول عدد من الكلمات التي تبدأ بحرف ساكن، لِيَتَوَصَّلَ اللسان إلى النطق بالساكن، وهي تُنْطَقُ في بدء الكلام، وتسقط في دَرْجِ الكلام، وعلامتها في الكتابة رأس صاد صغيرة، توضع فوق الألف هكذا (صـ)، وتكون في[٢]:

١- الفعل الماضي إذا تجاوزت عِدَّتُهُ أربعة أحرف، نحو: ٱنْطَلَقَ وٱسْتَغْفَرَ.

٢- فعل الأمر من كل فعل انفتح فيه حرف المضارعة، نحو: ٱضْرِبْ وانْطَلِقْ.

٣- مصادر الأفعال التي في أول ماضيها همزة الوصل، نحو: انطلاق، واستغفار.

٤- أول عدد من الأسماء مثل: اسم وابن وابنة وامرؤ وامرأة واثنان واثنتان.

٥- ٱل التي هي للتعريف نحو: (الرحمن الرحيم).

---

(١) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ١/١٥١، وابن الجزري: التمهيد ص٧٨-٧٩، وابن بلبان: بغية المستفيد ٦٤و، والمرعشي: جهد المقل ص٢٢٧.

(٢) ابن جني: سر صناعة الإعراب ١/١٢٦.

ب- **همزة القطع**: وهي التي تكون في أول الكلمات (ومثلها التي تكون في وسطها أو آخرها)، وتكون أصلية وزائدة، ولا تسقط في الوقف ولا في الوصل، وعلامتها رأس عين توضع على أحد حروف العلة الثلاثة (أ ؤ ئ) أو توضع مفردة على السطر، وهي تكون فيما عدا المواضع التي تأتي فيها همزة الوصل، وذلك في نحو: أَخذ، وسأَل، وقرأَ، وأكرم، وإكرام، ودعاء، وصحراء، وسائل، وقائل وغير ذلك كثير.

فعلى القارئ أن يراعي في قراءته كيفية نطق الهمزة، لا سيما همزة الوصل التي تُنْطَق حين تكون في بداية النطق ولم تُسْبَق بشيء، وتسقط إذا جاءت في الكلام المتصل، بخلاف همزة القطع التي تثبت في النطق في جميع المواقع والحالات.

٧- كيفية الابتداء:

لا يكون الحرف المبدوء به في العربية إلَّا متحركاً، فإن كان همزة وصل فإن له أحكاماً خاصة تختلف عن سائر حروف العربية الأخرى التي يمكن أن يُبتدَأ بها، فإن ما عدا همزة الوصل من الحروف لا يختلف نطقه ولا تتغير حركته عند البدء به وعند وصل ما قبله به، فإذا قرأنا قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة] فإن حروف أوائل كلمات الآية وحركاتها لا تتغير في أحوالها كافة.

فإن كان أولُ الكلمة همزة وصل فإنها تنطق عند الابتداء بها وتسقط عند وصل ما قبلها بها، كما أنَّ حركتها قد تكون فتحة أو ضمة أو كسرة تبعاً لنوع الكلمة التي هي فيها، ذلك على النحو الآتي:[1]

١- تكون همزة الوصل مفتوحة إذا كانت مع لام التعريف، نحو: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [الفاتحة].

---

(١) ينظر: المرعشي: جهد المقل ص٢٣١، ومحمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص١٨١-١٨٣.

٢- وتكون مكسورة إذا كانت في أوائل عدد من الأسماء، مثل: ٱبن، وٱبنة، وٱمرئ، واثنين، واثنتين، وٱسم.

٣- وإذا وقعت همزة الوصل في فعل فإن كان ثالثه مكسوراً أو مفتوحاً كانت حركة الهمزة الكسرة، نحو: ٱضرِب، وٱرجِع، وٱذهَب، وٱنْطَلِق، وٱسْتَخْرِج، وإن كان ثالثه مضموماً لازماً[1] كانت حركة الهمزة الضمة نحو: ٱتلُ، وٱنظُر، وٱضطُرَّ. وكذلك حكم همزة الوصل في أوائل الأفعال الماضية ومصادرها.

وإذا اجتمعت في أول الكلمة همزتان، والأولى همزة وصل، في مثل قوله تعالى:

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ ﴿١٥﴾ ﴾ [يونس].

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ﴿٤٩﴾ ﴾ [التوبة].

﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [البقرة].

فإن ٱبتُدِئ بهمزة الوصل بأن يُوقَفَ على ما قبلها تُبدل الهمزة الساكنة بحرف من جنس حركة همزة الوصل، فتبدل ياء في (ٱيت) و(ٱيذن) وواواً في (ٱوتمن) وإن وَصَل القارئ وأسقط همزة الوصل فإن حفصاً وأكثر القراء يحققون الهمزة الثانية[2].

---

(١) فإن كان ثالثه مضموماً ضمّاً عارضاً فإنه يُبْدَأُ بكسر الهمزة، نظراً لأصله، نحو: امشُوا، واقضُوا، وابنُوا (ينظر: محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص١٨٢).

(٢) ينظر: المرعشي: جهد المقل ص٢٣٣-٢٣٤.

مصادر الكتاب[1]

١- الآجري (محمد بن الحسين): أخلاق حملة القرآن، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار الأنبار، بغداد ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.

٢- إبراهيم أنيس (دكتور): الأصوات اللغوية، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧١م.

٣- أحمد بن الجزري (أبو بكر أحمد بن محمد): الحواشي المفهمة في شرح المقدمة، مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد برقم (٢٤٠٤).

٤- أحمد بن أبي عمر الأندرابي: الإيضاح في القراءات العشر، تحقيق: منى عدنان غني: رسالة دكتوراه، جامعة تكريت ٢٠٠٢م.

٥- أحمد بن أبي عمر (السابق): قراءات القراء المعروفين، تحقيق: د. أحمد نصيف الجنابي، ط١، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م، وهذا الكتاب هو أحد أبواب (الإيضاح) السابق.

٦- أحمد مختار عمر (دكتور): دراسة الصوت اللغوي، ط١، مطابع سجل العرب، توزيع مكتبة عالم الكتب، القاهرة ١٣٩٦هـ= ١٩٧٦م.

٧- الاستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن): شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد الزفزاف وآخرين، مطبعة حجازي بالقاهرة.

٨- ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار): كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان،

(١) الرسوم التوضيحية في الكتاب منتسخة من كتاب دانيال جونز (تلفظ الإنجليزية) طبعة سنة ١٩٧٣م.

مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٦م.

٩- ابن الباذش (أحمد بن علي): الإقناع في القراءات السبع، ط١، تحقيق: د. عبد المجيد قطاش، مطبعة دار الفكر بدمشق ١٤٠٣هـ.

١٠- ابن بلبان الحنبلي (محمد بن بدر الدين): بغية المستفيد في علم التجويد، مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد برقم (١١/ ٥٤٣٧ مجاميع).

١١- ابن البناء (الحسن بن عبد الله): بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الأقراء، تحقيق: د. غانم قدوري حمد، منشور في مجلة معهد المخطوطات العربية في الكويت، المجلد ٣١، الجزء الأول سنة ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م طبع في دار عمار/ الأردن.

١٢- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى): سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح، حققه: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة.

١٣- تمام حسان (دكتور): مناهج البحث في اللغة، ط٢، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.

١٤- جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، الجامعة التونسية ١٩٦٦م.

١٥- ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد): التمهيد في علم التجويد، تحقيق: غانم قدوري حمد، ط١، مؤسسة الرسالة، طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ١٤٠٧هـ= ١٩٨٦م.

١٦- ابن الجزري (السابق): غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: براجستراسر، مكتبة الخانجي في مصر ١٩٣٢- ١٩٣٣م.

١٧- ابن الجزري (السابق): النشر في القراءات العشر، المكتبة التجارية

الكبرى، مطبعة مصطفى محمد بمصر.

١٨- ابن جني (أبو الفتح عثمان): سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط١، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٤هـ= ١٩٥٤م.

١٩- الجهني (محمد بن يوسف بن أحمد بن معاذ الأندلسي): البديع في معرفة ما رُسِمَ في مصحف عثمان بن عفان، تحقيق: د. غانم قدوري حمد، مجلة المورد مج١٥ ع٤، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٦م طبع في دار عمار/ الأردن.

٢٠- ابن الحاجب (أبو عمرو عثمان بن عمر): الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: د. موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٣م.

٢١- ابن حجر (أحمد بن علي): تهذيب التهذيب، دائرة المعارف النظامية بالهند ١٣٢٦هـ.

٢٢- الحنبلي (محمد بن عبد الباقي): فيض الودود بقراءة حفص عن عاصم بن أبي النجود، مخطوط في مكتبة المتحف العراقي في بغداد، برقم (٩٥٥).

٢٤- خالد الأزهري: الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة.

٢٥- ابن خالويه (الحسين بن أحمد): الحجة في القراءات السبع، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت ١٩٧١م.

٢٦- الخطيب البغدادي (أحمد بن علي): تاريخ بغداد، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٤٩هـ= ١٩٣١م.

٢٧- خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، تحقيق: سهيل زكار، دمشق ١٩٦٧م.

٢٨- خليفة بن خياط: كتاب الطبقات، تحقيق: أكرم العمري، مطبعة العاني بغداد ١٩٦٧م.

٢٩- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: المخزومي والسامرائي، دار الرشيد، بغداد ١٩٨٠م.

٣٠- الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد): كتاب الإدغام الكبير، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م.

٣١- الداني (السابق): التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق: د. غانم قدوري حمد، مطبعة الخلود، بغداد ١٩٨٨م، طبع دار عمار، الأردن ٢٠٠٠م.

٣٢- الداني (السابق): التيسير في القراءات السبع، تحقيق: أوتو برتزل، مطبعة الدولة، استانبول ١٩٣٠م.

٣٣- الداني (السابق): شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني، مخطوط في مكتبة جستربتي برقم (٣٦٥٣/ ١٠).

٣٤- الداني (السابق): المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: د. عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق ١٩٦٠م.

٣٥- الداني (السابق): المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق: محمد أحمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق ١٩٤٠م.

٣٦- الدركزلي (حسن بن إسماعيل الحبَّار): خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة، تحقيق: خلف حسين صالح، رسالة دكتوراه، جامعة تكريت ٢٠٠٢م.

٣٧- الذهبي (محمد بن أحمد): معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط١، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٩م.

٣٨- رمضان عبد التواب (دكتور): المدخل إلى علم اللغة، ط١، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ١٤٠٣هـ= ١٩٨٢م.

٣٩- الزجاج (إبراهيم بن السَّرِي): معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٧٣م.

٤٠- زكريا الأنصاري: تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر، تحقيق: د. محيي هلال السرحان، مستل من مجلة كلية الشريعة، العدد التاسع ١٩٨٦م.

٤١- السعيدي (علي بن جعفر): التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، تحقيق: غانم قدوري حمد، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٣٦، ج٢، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م، طبع في دار عمار، الأردن ٢٠٠٠م.

٤٢- سلمان العاني (دكتور): التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ترجمة د. ياسر الملاح، جدة ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

٤٣- السمرقندي (محمد بن محمود): رَوْح المريد في شرح العقد الفريد، تحقيق: إبراهيم عواد إبراهيم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، بغداد ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.

٤٤- سيبويه (عمرو بن عثمان): الكتاب، تحقيق: عبد السلام، هارون القاهرة.

٤٥- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر): همع الهوامع في النحو، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م.

٤٦- أ. شاده: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، صحيفة الجامعة المصرية، العدد الخامس ١٩٣١م.

٤٧- أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل): المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تحقيق: طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

٤٨- طاش كبري زاده (أحمد بن مصطفى): شرح المقدمة الجزرية، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد برقم

(٣/٦٢١).

٤٩- الطبري (محمد بن جرير): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط٣، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨٨هـ= ١٩٦٨م.

٥٠- الطبلاوي (ناصر الدين محمد بن سالم): مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين، تحقيق: د. محيي هلال السرحان، دار الشؤون الثقافية، بغداد ٢٠٠٢م.

٥١- ابن الطحان (عبد العزيز بن علي): مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار البشير ومؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ= ١٩٩٩م.

٥٢- عبد الدائم الأزهري: الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، تحقيق: نزار خورشيد مامه، رسالة ماجستير، جامعة تكريت ٢٠٠٠م، طبع في دار عمار، الأردن ٢٠٠٣م.

٥٣- عبد الرحمن أيوب (دكتور): أصوات اللغة، ط١، مطبعة دار التأليف، القاهرة ١٩٦٣م.

٥٤- عبد الرحمن أيوب: محاضرات في اللغة، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٦م.

٥٥- عبد الرزاق بن همام الصنعاني: المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، بيروت ١٣٩٠هـ= ١٩٧١م.

٥٦- عبد الصبور شاهين (دكتور): علم الأصوات (تأليف: برتيل مامبرك) تعريب ودراسة، القاهرة ١٩٨٥م.

٥٧- ابن عساكر (علي بن هبة الله)، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، هذّبه ورتبه عبد القادر بدران، ج٧، دار المسيرة، بيروت.

٥٨- العسكري (أبو أحمد الحسن بن عبد الله): شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ط١، القاهرة ١٩٦٣م.

٥٩- العطار (أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني): التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م.

٦٠- علي القاري: المنح الفكرية على متن الجزرية، المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٢هـ.

٦١- غانم قدوري الحمد (دكتور): الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ط١، مطبعة الخلود، بغداد ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م، طبع على نفقة لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الشؤون الدينية، طبع في دار عمار، الأردن ٢٠٠٣م.

٦٢- غانم قدوري الحمد: رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ط١، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م، طبع على نفقة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري في الجمهورية العراقية، طبع في دار عمار، الأردن ٢٠٠٤م.

٦٣- غانم قدوري الحمد: محاضرات في علوم القرآن، ط١، دار الكتاب للطباعة، بغداد ١٤٠١هـ= ١٩٨١م، طبع في دار عمار، الأردن ٢٠٠٤م.

٦٤- غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، المجمع العلمي العراقي، بغداد ٢٠٠٢م، طبع في دار عمار، الأردن ٢٠٠٤م.

٦٥- فرج توفيق الوليد: قواعد التلاوة وعلم التجويد، ط١، دار الرسالة للطباعة، بغداد ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.

٦٦- ج فندريس: اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٠م.

٦٧- القرطبي (عبد الوهاب بن محمد): الموضح في التجويد، تحقيق: د.

غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.

٦٨- القسطلاني (أحمد بن أحمد): لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: د. عبد الصبور شاهين، والشيخ عامر السيد عثمان، القاهرة ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م.

٦٩- القسطلاني (السابق): اللالىء السنية في شرح المقدمة الجزرية، مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد برقم (٢٤٠٢).

٧٠- كمال محمد بشر (دكتور): علم اللغة العام، القسم الثاني: الأصوات، ط٢، دار المعارف بمصر ١٩٧١م.

٧١- المارغني (إبراهيم بن أحمد): دليل الحيران شرح مورد الظمآن، دار القرآن، القاهرة ١٩٧٤م.

٧٢- ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس بليبيا ١٩٧٣م.

٧٣- المبرد (محمد بن يزيد): المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمه، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٧٤- ابن مجاهد (أحمد بن موسى): كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٧٢م.

٧٥- محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد في علم التجويد، راجعه الشيخ علي محمد الضباع، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٤٩هـ.

٧٦- محمود السعران (دكتور): علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف بمصر ١٩٦٢م.

٧٧- المرادي (الحسن بن قاسم): شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، تحقيق: د. عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت.

٧٨- المرادي (السابق): المفيد في شرح عمدة المجيد في علم التجويد، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة المنار، الزرقاء ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

٧٩- المرعشي (محمد بن أبي بكر): ترتيب العلوم، تحقيق: نجلاء قاسم عباس، منشورات مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.

٨٠- المرعشي (السابق): بيان جهد المقل، مخطوط في مكتبة المتحف العراقي ببغداد، الرقم (١١٠٦٨).

٨١- المرعشي (السابق): جهد المقل، تحقيق: د. سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

٨٢- مكي بن أبي طالب: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دمشق ١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م، طبع في دار عمار ١٩٩٦م.

٨٣- مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع، تحقيق: محيي الدين رمضان، دمشق ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.

٨٤- المنذري (عبد العظيم بن عبد القوي): الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، بيروت ١٣٩٢هـ= ١٩٧٣م.

٨٥- ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، طبع بولاق، القاهرة.

٨٦- ابن النديم (محمد بن إسحاق): الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، طهران ١٩٧١م.

٨٧- النووي (أبو زكريا يحيى بن شرف): الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، المكتبة الثقافية، بيروت ١٩٧٣م.

٨٨- النووي (السابق): التبيان في آداب حملة القرآن، دار الفكر بدمشق.

٨٩- الوفائي (أبو الفتوح سيف الدين بن عطا الله): الجواهر المضية على المقدمة الجزرية، مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم (٢٤٠٢/٢).

٩٠- ابن يعيش (يعيش بن علي): شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة.

موضوعات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة